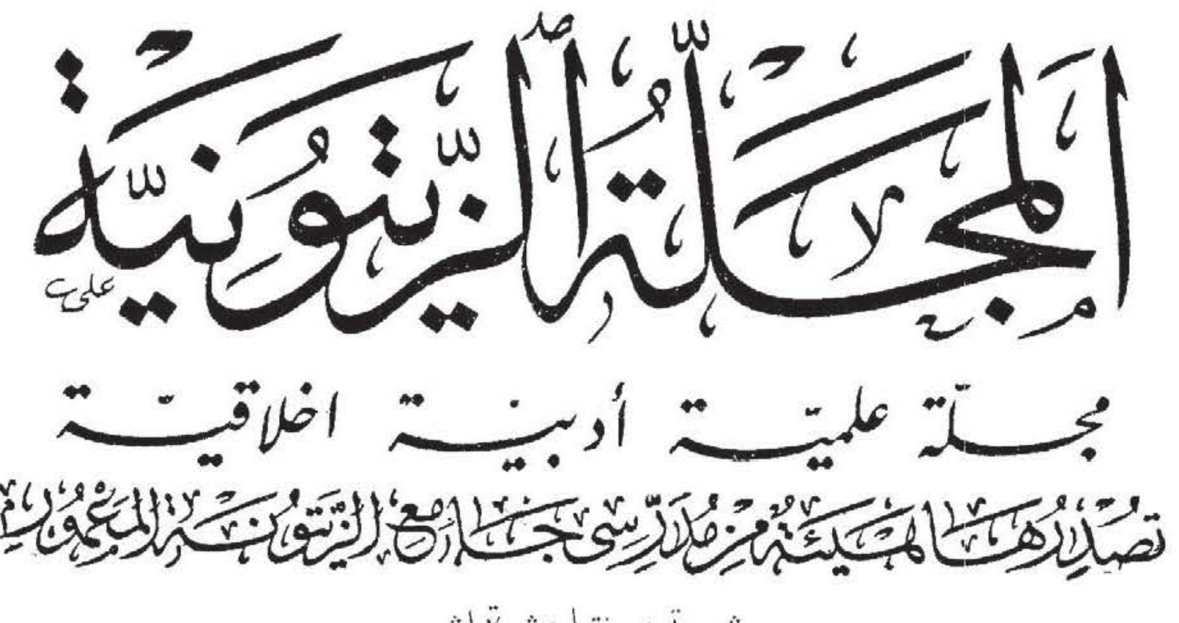


شهرية وسنتها عشرة اشهر

المجلد الثالث	تونس – في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي اكتوبر ١٩٣٩	الجزء التاسع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الثالث — الجزء التاسع

فهرس العدد

صحيفة | المقال | صاحبه

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

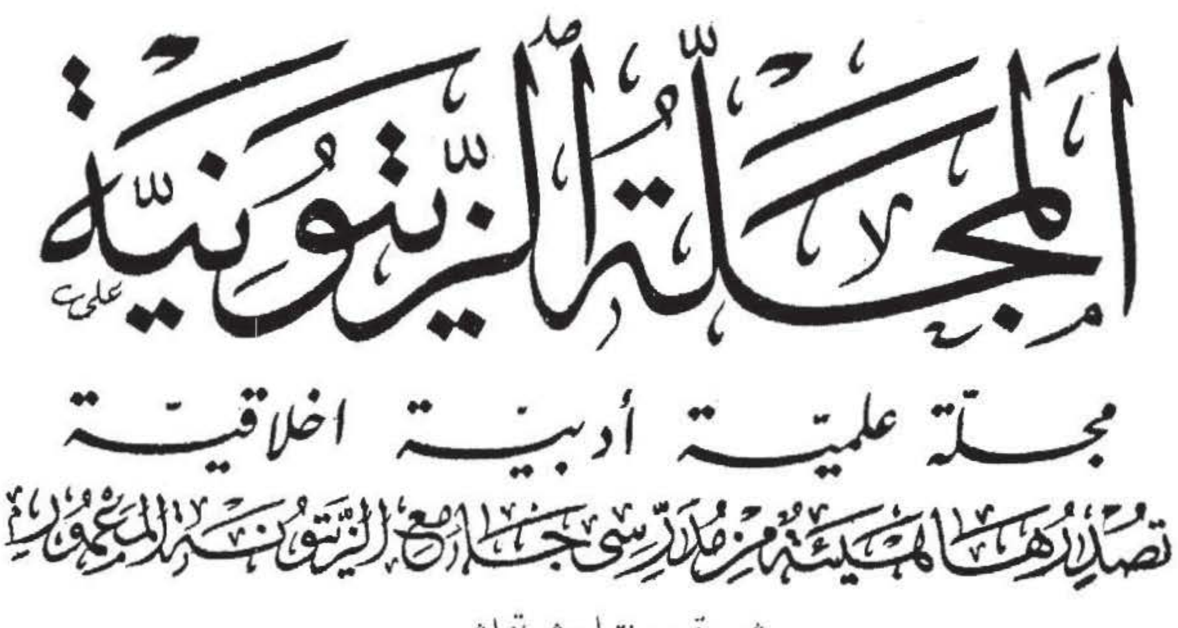
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس .



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء التاسع	تونس - في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي اكتوبر ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من تفسير الاستاذ الامام المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ

يظهر لي أن قوله واذا قيل لهم عطف على قوله يخادعون لان قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الاوض قالوا انما نحن مصلحون اخبار لبعض غرائب احوالهم ومن تلك الاحوال انهم قالوا انما نحن مصلحون فهو المعطوف في المعنى لان ما قبلـه ظرف مقدم عليه . واذا هنا لمجرد الظرفية وليست متضمنة معنى الشرط اذ لا يستقيم ذلك الا بتكلف لا داعي اليـه كما انها هنـا للماضي ليست للمستقبل وذلك كثير فيها كقوله تعـالى حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر الآية . ومن نكت القرءان المغفول عنها من قبل تقييد هذا الفعل بالظرف فان الذي يتبادر الى الذهن ان محل المذمة هو انهـم يقولون انما نحن مصلحون مع كونهم مفسدين ولكن عند التامل يظهر ان هـذا القول يكون قائلوه اجدر بالمذمة حين يقولونه في جواب من يقول لهم لا تفسدوا في الارض فان هـذا الجواب من المفسد لا ينشأ الا عن مرض القلب وافن الرأي لان شأن الفساد ان لا يخفى ولئـن خفي فالتصميم عليه واعتقاذ انه صلاح بعد التحذير والموعظة افراط في الغباوة او المكابرة وجهل فوق جهل . وعندي ان هذا هو المقتضي لتقديم الظرف على جملة يقولون لانه اهم اذ هو محل التعجيب من حالهم ونكت الاعجاز لا تتناهى . والقائل لهم لا تفسدوا في الارض بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الـذين لهم اطلاع على شؤونهم لقرابة او صحبة فيخلصون لهم النصيحة والموعظة رجاء ايمانهم ويسترون عليهم خشية عليهم من العقوبة وعلما بان النبيء صلى الله عليه وسلم يغضي عن زلاتهم كما اشار اليـه ابن عطية ويدل لذلك عندي بناء الافعال للمجهول بخلاف ما ياتي في قوله تعالى : واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا . ولا يصح ان يكون القائل لهم الله او الرسول كما قال بعض المفسرين اذ لو نزل الوحي وبلغ

الى معينين منهم لعلم كفرهم ولو نزل في مجملات كما تنزل مواعظ القرءان لم يستقم جوابهم بقولهم انما نحن مصلحون فتأمل حق التامل .

وقد عن لي في بيان فسادهم في الارض انه مراتب اولها فسادهم في انفسهم بالاصرار على تلك الادواء القلبية التي اشرنا اليه فيما مضى وبما يترتب عليها من المذام ويتولد من المفاسد . الثانية افسادهم الناس ببث تلك الصفات والدعوة اليها وافسادهم ابناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساويهم كما قال نوح عليه السلام (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) . الثالثة افسادهم بمفاسد الافعال كالقاء النميمة والعداوة وتسعير الفتن وتاليف الاحزاب على المسلمين واحداث العقبات في طريق المصلحين . والفساد خروج الشيء عن حد الانتفاع به في بابه فالافساد في الارض الفعل الذي يخرج الاشياء الصالحة في الارض عن الحد المنتفع به فيها فمنه افساد الذوات كالحرق والقتل وافساد الانظمة كالفتن والجور وافساد المساعي كبث الجهل وتعليم الدعارة والتحريض على الكفر ومناواة المصلحين ولعل المنافقين قد أخذوا من كل ضرب من ضروب الفساد بنصيب فلذلك حذف متعلق الافساد تاكيدا للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي وذكر المحل الواقع افساد كائناته وهو الارض قصدا للتعميم من جهتين فكانه قال لا تفسدوا كل فساد في اي مكان من الارض . فالمراد من الارض هنا ما تحتوي عليه من الناس والحيوان وسائر الموجودات التي بها دوام نظام العالم ونظيره قوله تعالى (واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

وقوله تعالى (قالوا انما نحن مصلحون) جواب وجاءوا بانما المفيدة لقصر الموصوف على الصفة ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا لان الفاعل اثبت لهم وصف الفساد اما باعتقاد انهم ليسوا من الصلاح في شيء او باعتقاد انهم خلطوا عملا صالحا وفاسدا فردوا عليهم اما بقصر القلب او بقصر الافراد لان قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا لتعذر الاحاطة بصفات الشيء .

وقوله تعالى (الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) اقول هو رد عليهم في غرورهم وحصرهم انفسهم في الصلاح فرد عليهم بطريق من طرق القصر هو ابلغ فيه من الطريق الذي قالوه لان تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند اليه فيفيد قوله الا انهم هم المفسدون قصر الافساد عليهم بحيث لا يوجد في غيرهم وذلك ينفي حصرهم انفسهم في الاصلاح وينقضه وهو جار على قانون النقض وعلى اسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس ويضمر الفصل وان كان الرد قد يكفي فيه ان يقال انهم مفسدون بدون صيغة قصر الا انه جيء بالقصر ليفيد نفي الافساد عن غيرهم اعني المؤمنين الذين عرض بهم المنافقون حين قالوا انما نحن مصلحون فذلك هو الغرض الاولي من رد الله عليهم ما ادعوه لان الله ولي المؤمنين فالذب عنهم مقدم على ذم المنافقين فقد حصل بهذا القصر رد الدعويين وقد يفيد ذلك ان المنافقين ليسوا ممن ينتظم في عداد المصلحين لان شان المفسد عرفا ان لا يكون مصلحا

اذ الافساد سجية ودأب لا يكاد يفارقه موصوفه فهذا يستفاد بطريق لحن الخطاب

وقوله (ولكن لا يشعرون) محمله محمل قوله تعالى قبله وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون فان افعالهم التي يبتهجون بها ويزعمونها غاية الحذق والفطنة وخدمة النفع الخاص ءايلة الى فساد عام لا محالة الا انهم لم يهتدوا الى ذلك لخفائه وللغشاوة التي القيت على قلوبهم من اثر النفاق ومخالطة اهله فان حال القرين وسخافة المذهب تطمس على العقول النيرة وتخف بالاحلام الراجحة حتى ترى حسنا ما ليس بالحسن

(واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا انؤمن كما ءامن السفهاء) هو من تمام المقول قبله فحكمه حكمه في العطف والقائل ويجوز هنا ان يقول القائل ايضا طائفة من المنافقين يشيرون عليهم بالاقلاع عن النفاق لانهم ضجروا وسئموا كلفة مخادعاته ومتقياته وكلت اذهانهم من ابتكار الحيل واختلاق الخطل وحذف مفعول ءامنوا استغناء عنه بالتشبيه في قوله كما ءامن الناس او العلم به .

وقوله كما ءامن الناس الكاف فيه للتشبيه او للتعليل واللام في الناس للجنس او للاستغراق العرفي والمراد من عدا المخاطبين اقول هي كلمة تقولها العرب في الاغراء بالفعل والحث عليه لان شأن النفوس ان تسرع الى التقليد والاقتداء بمن يسبقها في الامر فلذلك ياتون بهاته الكلمة في مقام الاغراء او التسلية او الايتاء قال :

ونصر مولانا ونعلم انه كما الناس مجروم عليه وجارم

وقولهم انؤمن كما ءامن السفهاء استفهام للانكار والسفهاء جمع سفيه وهو المتصف بالسفاهة والسفاهة في الاصل الخفة قال ذو الرمة

مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم

ثم سميت بها خفة العقل وقلة ضبطه للامور قال السموأل

نخاف ان تسفه احلامنا فنخمل الدهر مع الخامل

والعرب تطلق السفاهة على افن الرأي وضعفه كما علمت وتطلقها على سوء التدبير للمال قال تعلى (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم. وقال : فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا الآية) لان ذلك انما يجيء من ضعف الراي

(الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) اقول اتى بما يقابل جفاء طبعهم انتصارا للمؤمنين واعلن ذلك بكلمة ألا المؤذنة بالتنبيه للخبر وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرر في (الا انهم هم المفسدون) ليدل على ان السفاهة في الدين مقصورة عليهم دون المؤمنين فهو قصر اضافي لا محالة واذا ثبتت لهم السفاهة انتفى عنهم الحلم لا محالة لانهما ضدان في صفات العقول وان هنا لتوكيد الخبر وهو مضمون القصر وضمير الفصل لتأكيد القصر والا كأختها المتقدمة في الا انهم هم المفسدون

وقوله : (ولكن لا يعلمون) اقول انه نفى عنهم العلم بكونهم سفهاء بكلمة يعلمون دون يشعرون خلاف

للايتين السابقتين لان اتصافهم بالسفه ليس مما شانه الخفاء حتى يكون العلم به شعررا ويكون الجهل به نفي شعور بل هو وصف ظاهر لا يكاد يخفى لان لقاءهم كل فريق بوجه واضطرابهم في الاعتماد على احدى الخلتين وعدم ثباتهم على دينهم ثباتا كاملا ولا على الاسلام كذلك كاف في النداء بسفاهة احلامهم فان السفاهة صفة لا تكاد تخفى وقد قالت العرب السفاهة كاسمها

(واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون)

عطف على ما عطف عليه واذا قيل لهم لا تفسدوا واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس والكلام في الظرفية والزمان سواء والمقصود من الاخبار عنهم بقولهم ءامنا هو التقييد بقوله : واذا لقوا الذين ءامنوا) لا يقولون ذلك ولو باللسان الاحين لقاء المؤمنين وتمهيد لقوله : واذا خلوا فبذينك الغرضين كان مفيدا فائدة جديدة على قوله السابق ومن الناس من يقول ءامنا بالله الآية ونكتة تقديم الظرف تقدمت

ومعنى قولهم ءامنا اي كنا مؤمنين فالمراد من الايمان هنا اللقب الذي هو مجموع الاوصاف الاعتقادية والعملية الذي تلقب بها المؤمنون وعرفوا بها على حد قوله تعلى : انا هدنا اليك) اي كنا على دين اليهودية فلا متعلق لقوله ءامنا حتى يحتاج لتوجيه حذفه او تقديره . او اريد ءامنا بما ءامنتم به والاول عندي اظهر

وقوله : واذا خلوا الى شياطينهم الخ معطوف على ما عطف عليه واذا لقوا والشياطين جمع شيطان وهو اسم جنس لصنف من الموجودات المجردات التي لا ترى عادة والتي هي مدبرات الفساد والشرور الصادرة من بني ءادم وهذا حقيقة هذا الاسم وقد يطلق مجازا على من كان دأبه ذلك الصنيع من البشر فهو مدبر السوء واطلق ايضا على الذي يأتي بالعجائب التي لا يستطيعها البشر ولذلك اثبت العرب شياطين لنوابغ الشعراء ، ويطلق على زعيم اهل الدعارة وهو المراد هنا اي اذا خلوا الى رؤسائهم وقادتهم كما قال تعلى : وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن

وخلوا بمعنى انفردوا فهو فعل قاصر ويعدى بالباء واللام ومن ومع بلا تضمين ويعدى بالى على تضمين معنى ءاب ورجع وانزوى ويعدى بنفسه على تضمين تجاوز وباعد وقد عدي هنا بالى ليشير الى ان الخلوة كانت في مواضع هي مثابهم ومرجعهم وان لقاءهم للمؤمنين انما هو صدفة ولمحات قليلة افاد ذلك كله قوله لقوا وخلوا وهذا من بديع الايجاز . وقولهم انا معكم بالتاكيد دليل على انهم قد بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر وتطرق به التهمة ابواب قلوبهم فلذلك احتاجوا الى تأكيد ما يدل على انهم باقون على دينهم . وكذلك قولهم انما نحن مستهزءون فقد ابدوا به وجه ما اظهروه للمؤمنين وجاءوا فيه بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم فيهم ان ما اظهروه للمؤمنين حقيقة وايمان صادق ، واما تجريد قولهم ءامنا من المؤكدات مع ان

درس في موطا مالك

رضى الله عنه

بقلم الاستاذ الامام المولى محمد الطاهر
ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

جامع القضاء وكراهيته

ملك عن يحيى ابن سعيد ان ابا الدرداء كتب الى سلمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقدس احدا وانما يقدس الانسان عمله وقد بلغني انك جعلت طبيبا تداوي فان كنت تبرىء فنعمالك وان كنت متطبيا فاحذر ان تقتل انسانا فتدخل النار فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم أدبر عنه نظر اليهما وقال ارجعا اعيدا علي قضيتكما متطبيا والله

لم يترك الامام رحمه الله تعلى في تبويبه هذا حقا من المناسبة في التبويب الاقضاه اذ اخر التحذير من القضاء الى اخر كتاب الاقضية واستهل كتاب الاقضية بالترغيب في القضاء بالحق ءاثر بذلك التقديم وهذا التاخير ترتبا طبيعيا من وجهين : اولهما ان الناس لو سلك بهم مسلك الاقتصار

مقتضى الظاهر ان يكون التأكيد في خطابهم للمؤمنين فلانهم لا يريدون ان يأتوا بما يجدد شك المؤمنين فيهم ولا ان يجعلوا انفسهم بموضع سوء ظن المؤمنين فيهم ولذلك حكى صدور هذا القول منهم عند مجرد لقاء المؤمنين من غير ان يسألهم المؤمنون عن دينهم فكان المنافقون يوهمون المؤمنين انهم صادقون في الايمان فلا يخطر ببالهم ان يشك احد في اخلاصهم لانهم اذا ظنوا شك الناس فيهم فقد نبهوهم على سوء طواياهم كما قال المتنبي

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وقولهم انما نحن مستهزءون قصروا انفسهم على الاستهزاء قصرا إضافيا للقلب اي مؤمنون مخلصون . وجملة انما نحن مستهزءون تقرير لقوله انا معكم لانهم اذا كانوا معهم كان ما اظهروه من مفارقة دينهم استهزاء او نحوه فاما ان تكون الجملة الثانية استينافا واقعة في جواب سؤال مقدر كان سائلا يعجب من دعوى بقائهم على دينهم مع ما تفننوا به من طرق النفاق في معاملة المسلمين وينكر ان يكونوا باقين على دينهم وسأل كيف امكن الجمع بين البقاء على الدين واظهار المودة للمؤمنين فأجابوا انما نحن مستهزءون وبه يتضح وجه الاتيان بأداة القصر لان المنكر السائل يعتقد كذبهم في قولهم انا معكم ويدعي عكس ذلك ويتضح ايضا وجه اختيار انما من بين بقية طرق القصر لان انما مشعرة برد انكار منكر وجواب سائل لمكان ان في اصل تركيبها الوضعي . واما ان تكون الجملة بدلا من انا معكم بدل اشتمال لان من دام على الكفر وتغالى فيه فقد حقر الاسلام واهله واستخف بهم

على الترهيب من القضاء ثم تمشى ذلك في عقول العلماء العدول فعافت نفوسهم القضاء وتمالؤوا على التفصي منه لكان من اثر ذلك ان يصبح الناس فوضى ويرجعوا الى الهمجية الاولى يقتصون لانفسهم تلك الهمجية التي كان من جهد الشريعة ابعاد الناس عنها قال الحماسي :

فلسنا كما كنتم تصيبون سلة فنقبل ضيما او نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فينا مسلط فنرضى اذا ما اصبح السيف راضيا

من أجل ذلك جاء الترغيب في القضاء بالحق كانه ياخذ بيد الخايف الوجل من هذا الامر ويطل به عليه يبين له ان اكبارة خيال كبير وان المرء اذا شاء اجراء العدل كان يلي بولايته القضاء اكبر خطة واصلحها للكون ثم جاء الامام في ءاخر كتاب الاقضية بالترهيب منه ايقاضا لنفوس ربما خامرها الذهول فاستهونت امره بعد استكبارة ولم ترقب حق الله من الاحتياط فيه واخرج في هذا الاخير هاتيكم الكلمة الفذة كلمة سلمان رضي الله عنه . وثانيهما يناسب حال المرء الذي يلي القضاء اي ان يكون مكتوبا على هذا السطر القويم فتكون رهبته من القضاء بعد ولايته اشد من نفورة عنه من قبل فان الولاية ربما خيبت اماني وبدلت اخلاقا ، قد تغر بوارق المرء فيظن سحابه ماطرا وما هو الاجهام لا ينشيء الا غما للكون وساكنيه وحرارة يوقدها برقة الخلب فيه

خلق افادته الولاية انها خلق يغير اهله ويبدل

اراد الله تعلى عمران هذا الكون ففطر البشر على الدأب نحو استحصال منافعه واجابة طلبات نفسه تلك الفطرة التي هي أصل التسابق لاقتضاء ما يستتب به العمران ولكن هاته الفطرة كانت بحكم الضرورة ميالة الى استلاب المنافع من أيدي أصحابها وروم انضمامها الى المصالح الذاتية احساسا يجده الحي في نفسه ويسمعه يوحي اليه في باطنه ان لو استطعت ان تملك الدنيا فافعل به امكن ان يسعى المرء في نيل ما يجب ولكنه سيجد المدافع عن اخذ ما بيده فيضطر الى الفكر في استخراج ما يطلب من غير يد مالكه بان يسعى اليه من جهة لم يسبق عليها تلك جهة الاحياء والاختراع التي لا ينطفىء نبراسها من الامم ولكنه ينوس بمقدار الحاجة الداعية كما قيل « الحاجة ام الاختراع » ولكن النفوس من قبل اميل الى الدعة والراحة واعشق الى الشيء المشاهد الحاصل فلذلك يكون ميلها الى استلاب المملوكات اسبق من تفكرها في ابتداع ما تشتهيه هكذا كان يجري هذا بين الافراد في خاصتها والقوم في قراها والامم في وحدتها والذي يظهره لكم في مظهر واضح اختلاف الملوك والفاتحين في توسيع الممالك وطموح كل امة الى تعميرها الارض وفناء ما سواها بالوجه الذي تراه. افكان التدافع بين افراد النوع لذلك طبيعيا ناشئا عن تحرك القوتين الشاهيه والغاصبة عند التزاحم في مزدحم الحياة وكذلك تكون المصالح غالبا غير سالمة من اضرار تعقبها هي منها بمنزلة ما تشتمل عليه الثمرة الطيبة من البزور والحلفايات فللتشريع في هذا ان ينظر بعد اقتضاء المصلحة العمرانية الى

ما تخلفه فيكفي الناس مضرته بوجه تسلم بـه تلك المصلحة من الاضرار . هـذا الوجه هـو حماية الحقوق اي رد يد الظالم عن تناول ما للغير بدون رضى وهو أمر حسن توافق عليه الفطرة ما دامت غير مستهواة لهوى غالب في جزئية خاصة ولا تستقل امة عن الحاجة اليه مهما بلغت من الرقي فان الامم المنحطة لا يمكنها الوصول الى ايفاء الحقوق اهلها فضرورتها الى القضاء ليست بالامر الخفي واما الراقية فانها تتالف من جماعات فاضلة ومن اضدادها فلا غنى بها عن تاسيس قواعد العدل لاصلاح الدهماء ولاقناع الحكماء والعلماء لان هؤلاء وان كانوا يعرفون العـدل ويجزمون بحسنه الا انهم في الاحوال الخاصة ماسورون للشهوة او الغضب فكانهم يحبون ان يكونوا في تلك الحالة الخاصة استثناء من هاته المصلحة الكلية لما يغلب من الهوى على التعقل وهكذا يبقى ذو الهوى في كل مسالة يحب الاستثناء فاذا جاءت النوبة غيره احب ان يكون مستثنى ايضا واغراه الطمع ان يقاس على سالفه فكان العدل اذن اصل العمران وبه قامت الارض ودامت الدولات وكان اهم ما ينشأ عنـه صفتين ان همـا تحققتا سعدت الامة ودام بقاؤها الا وهما الحرية والاخوة فان الحرية ان لم يكن معها عـدل ذبلت حتى تساقط الى الحضيض اذ حقيقتها ان ياخـذ المرء بكل حقوقه وان يفي بجميع حقوق غيره وان يصدع بارائه وهذا كله لا يكون بغير العدل كيف يجد المرء بغير العـدل الاخذ بكل حقوقه وهـو يرى الكثير منها مستترا في حصون العظماء فلا تستطيع يده وصولا اليه ولا فمه أن يبدي حنينا عليه ام كيف يمكنه أن يسلم حقوق غيره وهو ان ترك اخذ حقه وزاد فسلم للناس حقوقهم رجعت كفه صفرا فلم يجد في حياته ما يتخذه ذخرا وكيف يمكنه التجاهر برأيه وهو يعلم ان كلمة تغضب زيدا وعملا يسوء عمرا فـلا يأمن من الاذى باصنافه وبهذا ينمحي تغيير المنكر والامر بالمعروف من الناس ذلك الوصف الـذي ان فقدوه فسدوا وذلـوا قال عمر ابن الخطاب لابي مريم الحنفي يوما : اني ابغضك لانك قتلت اخي زيدا قال ابو مريم : يا امير المؤمنين هل يعدمني بغضك اياي حقا لي في الاسلام ؟ قال عمر : اللهم لا قال ابو مريم : اذن لا يرغب في الحب الا النساء.

امـا التاخي فضروري انه لا يحصل ما دامت الامة متنافرة هذا يسلب حقا والآخر يسترجعه وثـالث يرى سلب الاول اياه ملكا فيثأر بحب اخذه من يد مسترجعه وكذلك يكون امرهم تنازعا حتى يفشلـوا وتذهب ريحهم قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال رسوله صلى الله عليه وسلم « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » فانظر كيف قرن بين الاخوة ونفي الظلم

لعل في هذا المقدار مقنعا لكم ان أردتم أن تعرفوا مرتبة القضاء بالحق ومكانه من الفضيلـة. قال ابن فرحون « اعلم ان اكثر المؤلفين من اصحابنا بلغوا في الترهيب « من الدخـول في ولايـة « القضاء. . . ورغبوا في الاعراض عنها حتى تقرر في ذهن كثير من الفقهاء والصلحاء ان من ولي « القضاء فقد سهل عليه دينه وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه. . . . واعلم ان ما جاء

٨

«من الاثار التي فيها تخويف ووعيد فانما هو في حق قضاة الجور العلماء او الجهال الذين يزجون «بانفسهم في هذا المنصب بغير علم واما قولي من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين فهو بمعنى المجاهدة «للنفس وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق اذ جعله ذبيح الحق» وقوله تجب التوبة منه صحيح لانه يجر الى تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان القضاء من تصرفاته وتصرفات خلفائه المتأسين به في سنته وسر ما اخرجه الامام رحمه الله في هذا الكتاب تحت ترجمة الترغيب في القضاء بالحق حديث انما انا بشر مثلكم وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع لينبه على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاضيا بين الناس ثم كان القضاء من شان الخلفاء الراشدين فلما ءالت الخلافة الى من لم يكن لهم من العلم بالسنة مكانة تخولهم السلامة من الخطا غالبا ءال ذلك الى اسنادهم هذه الولاية الى احد العلماء المسلم لهم العلم والعدل ليأمنوا يوم القيامة عمل حسابهم اما ان بعدت الاقطار فان من السنة ارسال القضاة تخفيفا من مشقة المتداعين وسرعة بانفاذ الحق المبين . استقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا باليمن واول من استقضى بالمصر من الخلفاء علي رضي الله عنه استقضى شريحا بالكوفة ايام شغلته الخوارج بحروبها (ملك عن يحيى ابن سعيد ان ابا الدرداء كتب الى سليمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة)

ابو الدرداء هو عويمر ابن عامر الخزرجي احد الثلاثة الذين نزلوا دمشق من الصحابة مع بلال ومعاوية توفي سنة ٣١ وولي قضاء القدس في خلافة عثمان وامير الشام يومئذ معاوية وقيل بل ولاه عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيم امتي ابو الدرداء . وسلمان هو سلمان الفارسي من رامهرمز (١) قال في الاستيعاب شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة في قوله لو كان الدين او العلم بالثريا لناله سلمان وفي رواية رجل من فارس والمراد به سلمان توفي سنة ٣٥ شهد وقعة الاحزاب وهو الذي اشار ان تحض المدينة بخندق يحيط بها . سلمان وابو الدرداء ءاخى بينهما النبيء صلى الله عليه وسلم حين ءاخى بين المهاجرين والانصار وقد ورد دخول سلمان بيت ابي الدرداء وانه وجد ام الدرداء متبذلة وانه لام ابا الدرداء على ذلك . وهما من الاربعة الذين شهد لهم معاذ اذ قال: طلبوا العلم عند اربعة رهط عند عويمر ابي الدرداء وسلمان الفارسي وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن سلام وباعتبار الشهادة النبوية لابي الدرداء وسلمان يكون الحوار الذي دار بينهما ملحقا بالحديث النبوي اذا هو دائر بين الحكمة والعلم المشهود بهما لهما . وهلم اسم فعل بمعنى اقبل الي يلازم حالة واحدة فلا يتغير باختلاف المخاطب به من تعدد او تانيث ، استوفد ابو الدرداء سلمان لمساكنته

(١) وتقول العرب رامز اختصارا . مدينة مشهورة من نواحي خوزستان ما بين تستر وشيراز تبعد عن تستر ٨٢ ميلا الى الجنوب الشرقي وموقعها على نهر فتحها المسلمون في خلافة عمر تحت قيادة النعمان ابن مقرن سنة ١٧ من الهجرة

رغبة في جوار أهل الفضل من الاخلاء لانهم رهط الرجل الذين يعتضد بهم وهم انفع اليه من اقاربه المنافرين لشربه فالعاقل في مواصلة اهل رايه ارغب منه في مجاورة اهل جسده وكذلك يكون الجوار حلة متى جلبه الود والاصطحاب ، سئل الحكيم اي الرجلين احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي قال ابو الوليد الباجي في المنتقى « قول ابي الدرداء ان هلم الى الارض المقدسة يريد المطهرة والمقدس في كلام العرب المطهر وانما اراد موضعا من الشام يسمى المقدس ومنه سمي مسجد ايليا البيت المقدس ومعناه انه مطهر مما كان فيه غيره من الكفر وكان ذلك في وقت من الاوقات فلزمه الوصف بذلك ويحتمل ان يكون معنى تقديسها انها تطهر من الذنوب والخطايا فيكون المعنى المقدس اهله ويدل على هذا قول سلمان ان الارض لا تقدس احدا فيكون انما وصف اهل بيت المقدس بذلك في زمان عملوا فيه بالطاعة وكان كثير منهم انبياء وسايرهم اتباعا لهم اه واقول تقديس البقاع مثل تقديس ألاوقات هو امر جعلي من الله تعلى تبعا لما رسم لها من ايقاع الاعمال الصالحة التي أهمها التوحيد وقد كان المسجد المقدس ثاني بيت وضع للناس لاعلان توحيد الله وتنزيهه وذلك اساس فضائل الاعمال (فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقدس احدا) لم يشتمل جواب سلمان على تقرير لما يخالف اعتقاده كالذي تشتمل عليه مخاطبات الناس ورسائلهم من الاطراء لما قد يعتقده المرء فاسدا بعلة المداهنة التي علق عليها الناس اسم المداراة فعدموا بذلك فائدة النصيحة والتواصي بالحق، ذلك ان سلمان وامثاله صدقوا ما عاهدوا الله من بذل النصيحة لكل مسلم وكذلك يكون الامر بين اقوياء النفوس وراجحي الاحلام ان لا يكتموا شيئا يرون منه صلاحا ونصحا لان الكذب هو علة انقلاب الحقائق وموجب ارتفاع الاطمئنان وذلك يسبب التخاذل والتفريق فلا يرجى اتحاد ما دام هذا سائدا في امة . قوله ان الارض لا تقدس احدا هو رد لما تضمنه كلام ابي الدرداء حين دعاه الى سكنى الارض المقدسة لان الصفة تؤذن بالتعليل فيتضمن انه يكتسب من السكنى بها تقديسا في نفسه وقصد سلمان ان يدفع ما وقر في صدور الناس من الشعور بان المرء قد تغني عنه ملابساته حتى الارض التي هو فيها وابو الدرداء وان كان منزها في نظر سلمان عن اعتقاد هذا لعلمه وصحبته ولكنه رأى لسانه جرى على ما تجري به السنة العموم او انه رام ترغيبه في القرب منه بمرغب ما وهو فضل الارض التي يسكنها استكمالا للفضيلة (وانما يقدس الانسان عمله) جاء بقضية كلية بعد ان نفى التقديس في جزئية لان تلك الجزئية المنفية ليست اولى الجزئيات بثبوت الحكم بحيث ان نفي عنها اقتنع المتكلم عن نفي ما عداها من الجزئيات ما الشبهة فيه اشد والخطأ اليه اسرع نحو قرابة من المقدس او صلة به

فأورد هذا الحصر بانما تنبيها على تعميم القضية فقصر بذلك صفة تقديس الانسان على العمل لا تتجاوزه الى غيره وهو قصر حقيقي وليس ورود القصر بعد النفي بجاعله اضافيا لان النفي انما يلمح الى الاعتقاد المردود الباعث على سلوك طريق القصر على ان النفي هنا متقدم وهو عند التقديم

صريح في انه الداعي الى الخطاب بالقصر يفيد ووزانه وزان انما الولاء لمن اعتق بعد كلام اشار الى ان البايع لا يستحقه ولذا انفق جمهور الفقهاء على ان لاولاء الامن اعتق (وقد بلغني انك جعلت طبيبا تداوي) اشار الى ولاية ابي الدرداء قضاء بلد القدس ومراد سلمان ظاهر اذ قد علم ابو الدرداء انه لم يكن طبيبا فهو يعلم ان سلمان اراد تمثيل حاله في القضاء بحال الطبيب او المتطبب وسمى القاضي طبيبا على طريقة الاستعارة لمشابهة القاضي الطبيب في اصلاح حال البشر وازالة ادواء الظلم فان كان الطب يصلح مزاج المرضى فالقضاء بالحق يصلح مزاج العالم اجمع كما قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا لان الناس ان اطرد بينهم القضاء بالحق زالت طماعيتهم في استلاب حقوق الغير فاستقاموا من تلقاء انفسهم متى علموا ان لا غاية يجتنونها من وراء الظلم فاما متى كان القضاء مختلا فان للظالم امنية الانزواء تحت التخفيف هب ان الجور كان يقضي ان يشدد على البريء تارة فان ذلك لا يرفع المظالم لان النفوس عند الشهوات تتمسك بالطمع ولهذا حظرت الشريعة الشفاعة لمن بلغ الامام في الحدود وغيرها . وجاء بكلمة تداوي ترشيحا للاستعارة وايماء الى وجه الشبه اذ كانت الاستعارة من الغرابة بالمكان الذي ربما ابهم امرها على السامع (فان كنت تبريء) طرد الاستعارة ومن محاسن التشبيه ان يكون مطردا في جميع اصوله وفروعه . واراد بكونه يبريء القدرة على اصابة الحق وحمل الناس عليه بتنفيذه فيهم وتحمل مصاعب القضاء التي اقل ما فيها انه يقضي على ذويه واصحابه وهو كاره وهم كارهون قال الباجي « يريد بالابراء اصابة الحق ورفع الباطل لان الباطل هو الداء الذي يسال عنه المفتي لازالته (فنعما لك) نعم فعل غير متصرف عند محققي النحاة وتدخل عليها ما التي هي في الاصل معرفة غير موصولة هي بمعنى الشيء فتدغم ميم نعم في ميم ما والغالب ان يقع بعدها ضمير مخصوص بالمدح نحو قوله تعالى فنعما هي فان وقع فعل بعد ما صارت موصولة نحو ان الله نعما يعظكم به فلا يذكر بعدها مخصوص بالمدح استغناء عنه بما اشعر به من الكلام واذا وقع بعد ما حرف جر كما هنا صح ان يجعل صلة ما اوصفة لها اي نعم الشيء لك او نعم الذي لك وفي الحديث بئس ما لاحدهم ان يقول ليست ءاية كذا وءاية كذا الخ والمعنى فنعم الشيء لك القضاء بين الناس لما فيه من ايصال الحق (وان كنت متطببا فاحذر ان تقتل انسانا) اراد بالمتطبب هنا المتفعل المتكلف من الطب المراد هناك اي غير عالم بوجوه القضاء ورشح هاته الاستعارة بقوله ان تقتل انسانا وقد شبه بقتل المتطبب مريضه ما يحدثه قضاء القاصر من ضياع الحقوق المفضي الى الفساد فيكون الترشيح مستعارا للازم المشبه من لوازم المشبه به على نحو اعتصموا بحبل الله جميعا فيفيد الترشيح بلفظه والاستعارة بمعناه وقرينته واراد بالمتطبب الذي ليس على بينة من امره فهو يقصد الحق فيقع في الباطل كشان كل من لم يكن متحققا من شيء فسلمان لا يخشى على ابي الدرداء الجور ولا يحذره منه لانه ءامن عليه منه لعدالته اذ هو من اصحاب رسول الله وهم عدول وانما خشي عليه

ان لا يتامل حيد التامل من بعض القضايا مبالغة في النصح له وذلك لان القضاء بغير الحق جهلا يساوي قصد الجور في عدم الوصول الى الحق وفي حديث النساءي عن ابي هريرة قال رسول الله القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض به وجار فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس فهو في النار وهذا يدل على اشتراط العلم في القاضي والعلم مهما اطلق في لسان اهل الاصول والمتقدمين فانما يراد به اصدق معانيه وهو الفكر والنظر فلا يصح عند الايمة ولاية قاضي عامي او مقلد لا يستطيع النظر في مدارك الاحكام او في مسائل الخلاف قال عبد الوهاب في التلقين « ولا يستقضى الا فقيه من اهل الاجتهاد لا عامي مقلد » وشرحه المازري فقال « وقد قال مالك في كتاب ابن حبيب لا ارى خصال القضاء تجتمع اليوم في احد ولكن يجب ان يكون عالما عدلا قال ابن حبيب فان لم يكن عالم فعاقل ورع فانه بالعقل يقف وبالورع يسأل فهذا قول ابن حبيب سهل في ولاية قضاء المقلد ولكنه لم يصرح بجواز هذا مع القدرة على قاضي نظار بل اشار الى كون الضرورة تدعو الى ولاية مقلد ولا خلاف ان ولاية النظار اجدر من ولاية المقلد وانما الخلاف هل تصح ولاية المقلد وتنفيذ احكامه ام لا فيمنع من ذلك الشافعي وهو الذي يحكيه ايمة مذهبنا عن المذهب ويجيز ذلك ابو حنيفة ويامره بمشاورة النظار واحتج اصحابنا واصحاب الشافعي بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وبقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اما عصرنا هذا ففي اقليم المغرب لا يوجد مفت نظار فالمنع من ولاية المقلد تعطيل للاحكام ولكن تختلف احوال المقلدين ثم اذا كان النظر شرطا فهو يتضمن المنع من اشتراط الامام على رجل نظار ان لا يحكم الا بمذهب احد الايمة لان الرجل اذا اداه اجتهاده الى الصواب وامر ان يقضي بخلاف ما عنده فقد صار مامورا بمخالفة الحق في اعتقاده فاذا انعقدت الولاية على هذا الوجه فان هذا عقد لا يجوز وينبغي فسخه ورده وذهب بعض الناس الى ان القضاء على هذه الصفة لا يفسخ بل يمضي ويبطل الشرط لان الفساد في الشرط لا في التولية » اه وقال ابو بكر ابن العربي الذي يقضي بالحق ان كان عن علم فهو الذي تقدم وان كان عن تقليد فلا يجوز ان يتخذ قاضيا الا عند الضرورة فيقضي بفتوى عالم رءاه ورواه بنص النازلة فان قاس على قوله او قال يخرج من هذا كذا او نحوه فهو تعد. اه وقال خليل « مجتهد ان امكن وان لا فامثل مقلد » وشذ ابن رشد وابن زرقون فقالا ذلك مستحب صرح بذلك في المقدمات وعليه قال ابن عاصم « ويستحب العلم فيه » فلما اطلع على هذا اللفظ من لا وقوف له على اصطلاح الناس في العلم ظن ان المستحب العلم المقابل للجهل . هكذا يتم تشبيه سلمان لان العالم بالحق يقضي وهو عالم ان ذلك هو الصواب فهو كالطبيب المعتمد فيما يشير به على تجزية النفع اما المقلد فهو كرجل بلغه ان الدواء نافع ولم يجربه او اقتضب دواء من تلقاء نفسه يريد ان يجربه في ذلك المريض فهذا اذا ناول المريض شيئا لم يكن ءامنا

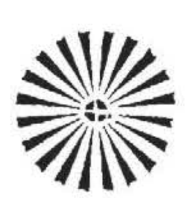
من سوء المغبة واذا نظرنا الى الشروط الواجبة في القاضي نجدها ترجع الى دفع وصف المتطبب عنه وهي التكليف لان غير المكلف قاصر النظر قطعا والذكورة (٢) لضعف المراة عن الاخذ بالحقوق ونزوعها الى الرحمة والشفقة (٣) والحرية لان المملوك لا يرجى لاقامة الحق ما دام يخاف غيره فربما قضى بهوى سيده هـذا هو الذي تشدون عليه من سر اشتراط الحرية في القاضي ولا تصغوا الى ما يذكرونه من ان الرق اثر الكفر لانه لو صح لبطل استقضاء المولى (٤) والعدالة وامرها واضح (٥) والسلامة من فقد الحس او المنطق لانه لا يتوصل الى الحقيقة الا بالفهم والاستفهام وبقي شرط الاتحاد على خلاف فيه فدليل مشترطه انه اعون على اتحاد الاحكام والسلامة من التشويش على الخلق .

(فتدخل النار) لقد ابدع كلام سلمان في التفنن اذ تخلص من المشابهة التمثيلية على طريقة الخطابة البلاغية الى المشابهة الشرعية المسماة بالقياس فمرتب على تمثيل القضاء بغير الحق بقتل النفس تحذيرا من العقاب المشهور لقاتل النفس وهو دخول النار بجامع اضاعة الحق فيهما ولان القضاء قد يتعلق بالقصاص فاذا تساهل فيه قتل نفسا خطأ قريبا من العمد لاجل التساهل وقد بلغ سلمان النصيحة والتذكير بخوف الله تعالى فاستقاموا واقاموا العدل وسادوا العالم فلما انقلبت الحال في عقائد الناس الى المماهلة في امر الله والاستخفاف بالوعيد تحت اسم الرجاء وما هو الا الارجاء واتكل الناس على الطمع في المغفرة ءال بهم الامر الى الادبار قال حجة الاسلام ابو حامد في كتاب الرجاء من احياء علوم الدين « المحبوب المتوقع لا بد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فهو الرجاء حقيقة وان كان مع انخرام اسبابه فهو الغرور وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا العدم فهو التمني اه ومعرفة الاسباب تسهل لمن يعرض نفسه على كتاب الله تعالى ولا يصغى الى ما يقربه الغرور من الاستخفاف وتهوين لامر الله عند عامة عبـاده . (فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم ادبرا عنه نظر اليهما ثم قال ارجعا اعيدا علي قضيتكما) هذا اصل عظيم في ان المرء لا يامن من الخطا ما بلغ به العلم وانه يجب تعقب الاحكام لازالة الخطا عنها وان تقرر الخطا للقاضي اذا لاح له فاستنكافه عن نقض حكمه شر الجورين فان جعل ذلك اليه بالولاية فظاهر وان لم يجعل اليه نقض احكامه وجب عليه رفعها لمن اليه النقض والابرام (متطبب والله) قد يقف النظر هنا ريثما يستبين امر هاته الكلمة فانه يرى ابا الدرداء بعد ان نصح لـه سلمان بان المتطبب لا يامن ان يقع فيما يدخله النار وقبل النصيحة منه اخبر عن نفسه بانه متطبب فيتساءل لماذا لم يترك هـاته الخطة لطبيب فيظن ان هاته كلمة تواضع منه ولكنه ما يقدم خطوته حتى يرى يمين ابي الدرداء على ذلك الذي يعين كلامه للحقيقة وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتادوا من قدوتهم الاعظم العصمة فصاروا على وجل من اقتحام القضاء بين الناس مع انتفاء العصمة ولذلك قال ابو بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني ان قلت في كتاب الله شيئا من رأيي فكذلك ابو الدرداء لما اعتبر

بكلام سلمان رأى أن التطبب لا يفارق غير المعصوم فقال متطبب والله . فينبغي أن يكون مراده تطببا غير التطبب الذي اراده سلمان واحسب انه اراد به عدم امن المجتهدين من الخطا في اجتهادهم فهو لا يسلم من الوعيد الا اذا بذل مقدار استطاعته مع مظنة المقدرة والتاهل من نفسه لان الخطا لا ينافي العلم والنظر ولا يلام في ذلك الا حيث يكون الخطا في محل الوضوح والحياد عن الدليل الى غيره او مع التقصير في تقصي النظر ومعرفة الحجج . فهو باعادة النازلة يستدرك ما عسى ان يلم به من خطا على غرة ولو كان ابو الدرداء شاكا في كفاءته لمنعته عدالته من ان يلي هذا الامر وفي كلام ابي الدرداء ما يصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انه حكيم فقد دل على سعة صدره وترحابه بما يسدى اليه من النصائح وذلك اية الكمال ومحبة الحق لان النفوس الكبيرة لا يهمها الا المشي على الصواب ابدا فهي لا تحب ان تخالفه ولذلك تبتهج بكل ما يجنبها الضلال عنه اما النفوس المستضعفة والعقول السخيفة فانها تستنكف عن شعور الناس بحالها اذ ليس لها ما تقنع به نفسها الا المغالطة والتناسي فهي لا تستطيع كمالا مع شعورها بالعجز عنه فلذلك يكون ذكره لها تعبا ونكدا خلاف الاخرى فانها ان لاح لها خطا في بعض اعمالها تعزت بالصواب في بقيتها فانشد حالها قول أبي الطيب :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

قال الله تعالى فاما الذين ءامنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم . وفي ملازمة ابي الدرداء لهاته الكلمة اشعار بتحفظه على النصيحة حتى لقد اتخذ لفظها شعارا له لا يفارقه ذكره في كل قضية وكذلك حكماء الناس اذا اهتموا بامر ربما اتخذوا اسمه شعارا لهم حتى لقد كانت تعرف اخلاق الرجل منهم في اختيار نقش خاتمه وهذه سنة كل قول انما يعتد به اذا تبعه عمل وبمقدار ذلك يكون النفع والتاثير فايما قول او علم لم يتبعه عمل فهو تبعات على صاحبه لهذا تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع اي لا ينشأ عنه عمل . قد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما . والله اعلم .



الاوقاف والنظار

او الاحباس والمقدمون

بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر الصدام
مدرس الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الوقف في الاسلام احسبه القول السديد الذي ارشد الله تعلى به حيرة المشفقين من اخترام المنية وحيلولتها بينهم وبين الضعفاء من ذريتهم الذين خافوا عليهم من ضياع تراثهم والتدهور في هوة الافلاس وسوء المنقلب لما في الحبس من ينبوع حياة لا ينضب معينه

وفي الوقت نفسه نبه سبحانه على انه من اثر تقواه (وليتقوا الله) وهذا التنبيه من جوامع القرءان الحكيم ذلك ان الوقف تكتنفه تقوى الله تعلى من عموم نواحيه

فالناحية الاولى طيب الكسب الموقوف فلا يصح وقف المغصوب وغير المملوك وما تعلق به حق الغير من غريم او وارث لم يجزه ونحو ذلك

الناحية الثانية اخلاص النية فيه لله سبحانه لا للمراءات وحسن الاحدوثة والتذرع به الى المجادة والسؤدد فانما الاعمال بالنيات

الناحية الثالثة ان يتوخى به سبيل العطايا من التسوية بين الاولاد في الانصباء اذ ذلك الافضل في العطية ولا جناح عليه ان سلك بذلك مناهج الفريضة الشرعية (للذكر مثل حظ الانثيين) او حرم الانثى مطلقا لكنه يقعد به ملوما محسورا

الناحية الرابعة ان يعهد بالولاية والرقابة عليه لمن يغلب على ظنه رشده وكفاءته فان ذلك وسيلة حفظ كيان الاوقاف لما للمتولي من رد اليد العادية عنها اذ يزع الله تعلى بالسلطان ما لا يزع بالقرءان ولما له ايضا من البصارة باحيائها وانمائها واستثمارها وصرف غلاتها في مصارفها

فحقا انه القول السديد والكنف الاحمى لوقاية الاموال والابقاء عليها وجعلها موردا لارتزاق العائلة أولها وآخرها وهو آية من آياته سبحانه

ثم لنا فيه وراء ذلك مئارب اخرى افلا تراه كيف ظاهر ذوي الهمم واليسار وتقوى القلوب على اشادة المساجد والحصون والمعاقل والمدارس وما الى ذلك من كل ما فيه مصلحة عامة الامر الذي يوفر على بيت المال موارده ويديمه عدة وارهابا ولولاه لما سمحت انفسهم بشيء من ذلك اذ لاضمان بابقاء ما كان على ما كان الا بالوقف

ومن ثم خرج الوقف بمجرد التحبيس عن ملك الواقف الى ملك مالك يوم الدين سبحانه

نشأ الوقف نشأته الاولى في الاسلام على يد مشرعه صلى الله عليه وسلم المبين للناس ما نزل اليهم متنوعا الى نوعيه الاهلي والعام وذلك في الحوائط السبعة التي اوقفها صلى الله عليه وسلم على ما في كتب

السنة والفقه فكان منها ما سبل في المصالح العامة كالفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله تعلى والضيف ومنها ما سبل على النفس مدة الحياة والعيال والذرية حتى اذا ما انقرضوا وهو الوقف المؤبد والملك الحرام المسرمد رجع لجهة بر لا تنقطع كفقراء المهاجرين مثلا

وفي احكام الاوقاف للخصاف رحمه الله تعلى بروايته عن سفيان بن عيينة رضي الله تعلى عنه الذي كان يلي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابو رافع) رضي الله تعلى عنه فكان ياتيه منها بالباكورة فياكلها ويؤكلها

واصرح من هذا دلالة على ولاية الولاة والنظار والمقدمين ما روي في صدقة وتحبيس الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله تعلى عنه ونصه على ما في احكام الاوقاف حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله بن عون عن نافع عن ابن عمر قال اصاب عمر مرة ارضا بخيبر فقال يا رسول الله اني اصبت ارضا بخيبر لم اصب ما لا قط انفس عندي منها فما تأمرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت حبست اصلها وتصدقت بثمرتها فجعلها عمر صدقة لاتباع ولا توهب ولا تورث يتصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله والضيف لا جناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف وان يطعم صديقا غير متمول منه واوصى به الى حفصة ام المؤمنين ثم الى الاكابر من آل عمر اه)

واصرح من هذه دلالة ايضا ما في اواخر الكتاب المومى اليه ونصه فان قلت(١) أرأيت رجلا جعل ارضا له وحددها صدقة موقوفة لله تعلى ابدا على وجوه سماها وقفا صحيحا وجعل القيام بامر هذا الوقف في حياته وبعد وفاته الى رجل وجعل لهذا الرجل من غلة هذا الوقف في كل سنة مالا معلوما لقيامه بامر هذا الوقف هل يجوز هذا ؟ قال هذا جائز قياسا على ما فعله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما جعل للقيم بصدقته اذ قال على ان لوالي هذه الصدقة ان ياكل منها غير متاثل مالا وعلى(٢) ما جعله علي بن ابي طالب رضي الله تعلى عنه للعبيد الذين وقفهم مع صدقته يقومون بعمارة صدقته وهذا بمنزلة

---

(١) السائل هو الامام ابوبكر الخصاف المؤلف والمسؤول هو شيخه هلال رحمهما الله

(٢) قال الخصاف في كتابه احكام الاوقاف حدثنا محمد بن عمر الوقادي قال حدثنا سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد عن ابيه عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان عمر ابن الخطاب قطع لعلي ينبع وهو حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر ثم اشترى علي الى قطيعته التي قطع له عمر اشياء فحفر فيها عينا فبينما هم يعملون اذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فاتى عليا فبشره بذلك فقال علي بشر الوارث ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد في السلم والحرب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله النار عن وجهه بها ثم قال وحدثنا علي بن عيينة عن عمرو ابن دينار قال في صدقة علي بن ابي طالب ان جبيرا ورباحا وابانيزر موالي يعملون في المال خمس حجج منه نفقاتهم ونفقات اهليهم ثم هم احرار لوجه الله تعلى اه محل الحاجة منه

الاجراء والوكلاء في الوقف الا ترى ان لوالي الوقف ان يستاجر الاجراء لما يحتاج اليه من العمارة وهذا شيء قد كفينا مؤنة الاحتجاج له لان عمل الناس عليه قلت هل يحد القيام الذي يستحق به هذا الرجل ما جعل له الواقف من غلة هذه الصدقة قال ليس عندنا في هذا شيء محدود وانما ذلك على ما يتعارفه الناس من القيام بعمارة ما وقعت عليه عقدة هذه الصدقة واستغلال ذلك وبيع غلاته وتفرقة ما يجتمع من غلاته في الوجوه التي سبلها فيها قلت أرأيت ان يباشر الرجل هذا بنفسه قال انما يكلف من هذا ما يجوز ان يفعله مثله ولا ينبغي له ان يقصر عن ذلك واما ما كان يفعله الوكلاء والاجراء فليس ذلك عليه الا ترى انه لو جعل القيام بذلك الى امراة من اهله او من بيته وجعل لقيامها بذلك مالا سماه لها في كل سنة هل تكلف المراة من القيام الا مثل ما يفعله النساء قال ليس عليها من ذلك الا ما يتعارفه الناس في هذا الامر الا ترى ان الرجل يكون له الضياع فلا يباشرها بنفسه ولا يشاهدها وانما يقوم بامرها كفاته فكذلك حال القيم بامر هذه الصدقة فيما يتولاه من ذلك) اه

وفي موضع آخر من هذا الكتاب ان الذي يلي على الوقف وكيل للواقف في حياته ووصي له بعد موته اه

وأرى ان نظر الوقف والقائم عليه هو وراء كونه وكيلا او وصيا محتسب خاص على شعيرة خاصة من شعائر الله تعلى لها اهميتها وخطورتها ووجود الناظر في الوقف شرط لقيامه ودوامه على ما سلف تحريره فلا وقف الا بناظره القائم عليه . ذلك مدرك المذهب الحنفي الزكي رضي الله تعلى عن امامه وعن سائر ائمة الدين في امر النظار والمقدمين

هذا وقد تاصلت قواعد هذا المذهب في الاوقاف على ما فيه تسهيل وتقريب وترغيب للناس في الوقف واكثر اصحاب الامام الاعظم رضي الله تعلى عنه بصارة باحكام الوقف ومعرفة لاسراره وحكمه واحاطة بما صح عن الامام فيه تلميذه الآخذ عنه الامام الثاني ابو يوسف رحمه الله تعلى الذي اقسم كغيره من التلامذة الائمة الآخذين عنه قدس سره على انهم لم يقولوا في مسالة من المسائل بقول غير مروي عن شيخهم امام المذهب ابي حنيفة النعمان روح الله روحه وقدس سره حسبما نص على ذلك في عامة كتب المذهب فمن ذلك القول بصحة الوقف على النفس ومنه القول بعدم افتقار صحة الحبس الى الحوز والقبول ومنه انه يصح على من سيوجد بخلاف الوصية حيث لا تصح للمعدوم الى غير ذلك من مظاهر التقريب والترغيب ومن ثم توافر المسلمون في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا على تقليد هذا المذهب فيما لهم من الاوقاف لائذا بما فيه من تيسير ناهيك انه يصير الحبس فيه حبسا بمجرد قول الواقف حبست

وحيث كان الاغلب على اوقاف الناس في ديارنا التونسية ما نص فيه اصحابه على تقليد مذهب ابي يوسف جرى عمل امراء المسلمين بتونس على تخصيص احكام الاوقاف بالمذهب الحنفي

وعلى ذلك جرى عمل اميرنا ابقاه الله تبعـا لاعمال اسلافه وطريقتهم المرضية مراعاة لجانب المصلحة اما ما كان مالكيا فانه لا تخصيص فيه ،

كما ان لهؤلاء الامراء نظـرا ساميا في تخصيص بعض المسائل والقضايا باحـد المذهبين الزكيين الحنفي والمـالكي المنتشرين بهذا القطر المحروس كتخصيصهم لمسالة رؤية الهـلال ولمسألة الميراث وغيرهما من كثير من المسائل بالمذهب المالكي الزكي

واختيار أئمة المسلمين لقــول من قولين أو أقـوال في مذهب أو مذاهب شنشنة أخزمية اذ لهم في كل عصر من التبصر بمصالح الرعية ما يخولهم ذلك

وذلك فيما اظن من اصول منشإ اختلاف العمل عنــد السادة المالكية . ثم من قبل ان الشريعة الاسلامية قد جاءت بتحكيم العرف وبافساح المجال لائمة المسلمين وقضاتهم في تخصيص مـا يرون تخصيصه للقضاء استغنت عن التجديد الذي هو ضروري للشرائع الوضعية(١)

هذا وبما اننا قد احطنا خبرا بنسبة النظار والمقدمين من الاوقاف وهي نسبة الشرط من المشروط وجب المصير الى بيان مـا يلزم اجـراؤه واتخاذه في الوقت الحاضر دفعـا للضرر اللاحق للاوقاف من جراء فساد الزمان وضياع الامانة فنقول .

ينبغي ان يكون نظر الاوقاف الى هيئة علمية حنفية يرأسها فضيلة الشيخ المفتي الحنفي المكلف بالاحتساب على الاوقاف بعضوية ثلاثة مدرسين من الطبقة العليا بالجامع الاعظم ادام الله عمرانه ومن عشرة كتاب على الاقل من مهـرة المتخرجين في شهـادة التحصيل يرشحون لذلك بمناظرة تجري لانتخابهم ومن أعوان ثقات للاستخلاص وغيره ومن مترجم ومن محاميين من ذوي الذمة والتضلع في الحقوق تنتخبهم الهيئة بمزيد التحري والاحتياط

هذه هي الاركان الـذاتية للهيئة المذكورة واما مـا يتعلق بمواد اجراءاتها الادارية فلنا فيه اليوم كلمة موجزة نلقيها مذيلـين بها هاتــه العجالة وهي ان تعمل هاتـه الهيئة في حدود مـا يحرر الاوقاف من كل مـا يأتي على جانب من ثروتها ومن الاجراءات المجحفة بوفرة ريعها ولـو بوجه الانزال او المعاوضة وغيـر ذلك مما لا يلائم كيانهـا الاصلاحي وحرماتها الدينية كل ذلك في نـفوذ واسع وسلطان وازع وسيف من الاقضية المحدثة لما احدث من الفجور قاطع والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

محمد الناصر الصدام

---

(١) واما حديث ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد على هذه الامة امن دينهـا الذي اخرجه ابو داود فالتجديد فيه بمعنى التقوية والتأكيد ذلك أن تطاول الامد موجب لقسوة القلـوب وضعف الوازع الديني قال الله تعالى فتطاول عليهم الامد فقست قلوبهم . ولا ريب أن المائـة سنة أمد طويل والتجديد تذكير والذكرى تنفع المؤمنين . هذا هو معنى التجديد وحمله على خلاف هذا من تحريف الكلم عن مواضعه .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

١٢ أبـو القاسم بن زيتون

ولي القضاء بعد أن صرف عنه ابن ابي الدنيا في التاريخ الذي رايته قريبا (١) ثم صرف هو عنه ايضا ثامن عشر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٠ واعيد ابن الغماز الى القضاء

وهذا القاضي من افذاذ رجال عصره. وهو ابو احمد ويكنى بابي الفضل ايضـا بن ابي بكر بن مسفر بن ابي بكر بن احمد بن عبد الرفيع اليمني ويلقب بتقي الدين . وفي عنوان الدراية : ابو القاسم ابن ابي بكر اليمني اه

ولد سنة ٦٢١ وتبرز في الفقه حتى قال صاحب عنوان الدراية في شانه : وفقهه جار على قوانين النظر والاجتهاد وكان طلبه العلم اول امره بتونس ثم تحركت همته للضرب في الارض في سبيل تحصيله فام المشرق سنة ٦٤٨ وسمع الحديث من الحافظ عبد العظيم المنذري وغيره واخذ عن سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وشمس الدين الخسروشاهي وسراج الدين الارموي ثم حج البيت ورجع الى تونس ثم خرج منها الى مصر سنة ٦٥٦ فأقام بالقاهرة ثم حج ورجع الى بلاده

ولم يكن رحمه الله فقيها فحسب بل كان كما في عنوان الدراية عالما بالاصلين والمنطق ذا مشاركة في الحكمة. وفي الديباج للشيخ فرحون انه اول من اظهر تآليف فخر الدين بن الخطيب الاصولية باقرائه اياها في مدينة تونس

وفي عنوان الدراية انه توجه في الرسالة لبعض ملوك المغرب عن المستنصر بالله الحفصي مرتين فشكرت رسالته وحمدت همته العلية وسياسته اه

ورأيت في باب العقيقة من مختصر الشيخ ابن عرفة الفقهي ان صاحب الترجمة دخل على المستنصر بالله فسأله كيف تسمى بابي القاسم مع صحة حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فأجابه الشيخ بأنه تسمى بكنية النبيء صلى الله عليه وسلم ولم يتكن بها ونقل الشيخ ابن عرفة عن بعض شيوخ شيوخه استحسان هذا الجواب . وفي هذا الحوار من العبرة حسن مشاركة الامير المستنصر وبداهة الشيخ ابن زيتـون

(١) راجع صفحة ٣٥٣ من الجزء الثامن

وقد وهن الجواب الشيخ الابي في شرحه على صحيح مسلم « ص ٤١٦ ج (٥) طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ وله الحق فيما يظهر

ذلك انه صح من حديث ابن المنكدر وهو في صحيح مسلم انه سمع جابر بن عبد الله يقول ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم فقلنا لا نكنيك ابا القاسم ولا ننعمك عينا فأتى النبيء صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أسم ابنك عبد الرحمان اه قال : الابي لا يسمى بـأبي القاسم كما لا يسمى القاسم على هذا الحديث . ثم ذكر قصة صاحب الترجمة مع المستنصر واستحسان بعض اهل عصره الجواب وقفى على اثره بقوله : ولا يخفى عليك ما في هذا الجواب من النظر على هذا الحديث اه ثم قال : وفي العتبية قيل لمالك رضي الله عنه قد كنيت ابنك بابي القاسم قال ما فعلت بل هو فعل اهل البيت ولا باس به قال ابن رشد رضي الله عنه لا باس تدل على ان تركه اولى لما في ظاهره من الاخبار بالكذب ولا اثم فيه لان القصد ترفيعه لا الاخبار به اه

والذي نقله الشيخ ابن عرفة عن القاضي عياض أن فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية بأبي القاسم وان النهي عنه منسوخ

وخلاصة القول في الموضوع انه ثبت النهي عن التكني بكنية النبيء صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيحين فقصر مالك وجماعة النهي على زمانه صلى الله عليه وسلم لان علة النهي خوف الالتباس به عليه الصلاة والسلام فقد جاء في احدى روايات الحديث عند مسلم من طريق انس نادى رجل رجلا بالبقيع يا ابا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم اعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسليم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي

وذهب الاكثر الى ان النهي عن ذلك منسوخ وقد سمى جماعة من السلف ابناءهم بمحمد وكنوهم بابي القاسم والحجة لذلك حديث علي وطلحة رضي الله عنهما واستشهاد علي رضي الله عنه ناسا أنه صلى الله عليه وسلم رخص في ذلك .

هذا وكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سابع شهر رمضان سنة ٦٩١ ودفن بجبل المرسى قال الزركشي ومثله في الديباج : ولا يكاد يصح ما نقله الشيخ احمد بابا عن التجيبي ان مولده سنة ٦٦٦ ووفاته سنة ٧٣٠ لانه ولي قضاء الجماعة سنة ٦٧٩ كما اسلفناه قريبا فهل يكون عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة ؟

١٣ الغوري الصفاقسي

جاء ذكر هذا القاضي اثناء كلام للزركشي في وفاة الشيخ ابي محمد المرجاني ولم يذكر تاريخ ولايته قال « ص٤٣ » من تاريخه ما نصه وفي اوائل جمادى الاولى سنة ٩٩ « اي وستمائة » توفي الشيخ الصالح المرجاني ودفن بجبل الجلاز وكان صديقا لقاضي الجماعة بتونس الفقيه أبي يحيى أبي بكر الغوري الصفاقسي وكان القاضي مريضا فكتم قرباؤه موت صديقه ولم يخبروه به وجعلوا

يوصون من يعوده بان لا يخبره بموت صديقه فاتى الفقيه أبو اسحاق بن عبد الرفيع لعيادة القاضي فاوصي ان لا يخبره بشيء فنسي واخبره وازداد القاضي مرضا على مرضه وتوفي يوم الاحد رابع عشر جمادى الاول سنة ٦٩٩ فقدم بعده لقضاء الجماعة بتونس الفقيه العالم :

١٤ ابو اسحاق ابراهيم بن الحسين بن علي بن عبد الرفيع الربعي

وهي أول ولايته لهذه الخطة فحكم عاما واحد عشر شهرا ثم عزل وولي عوضه الفقيه :

١٥ أبو زيد عبد الرحمان بن القطان الباوي

من أهل سوسة في غرة ربيع الآخر من سنة احدى وسبعمائة وتوجه الى سوسة وابطأ على الناس فضجوا من تأخر خصوماتهم فامر ابو اسحاق ابن عبد الرفيع بتنفيذ الاحكام الى ان يقدم القاضي فتواصى حسدته من صنفه بأنه لا يعلم بوصوله حتى يكون بمحفل يقال له فيه لا تحكم فان القاضي قد وصل وجعلوا من يرصد الطريق ففهمها ابن عبد الرفيع واوصى من يشق به ان يخبره قبل دخول القاضي بوصوله ليكون هو الممسك عن الحكومة ويصرف العون عن بابه بنفسه. فاتفق ان كان يوم سبت وقد جرت عادة قضاة تونس وفقهائها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه ويجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت اعدت لهم الى ان يخرج الخليفة. فبينما الفقهاء والقضاة جالسون وابن عبد الرفيع بينهم اذ أقبل كاشفه يعلمه قبل ان تصل رصدة حساده بقدوم القاضي فلما رءاه فهم فقام من محل جلوس القاضي منتقلا الى بت اهل الشورى ففهم عنه حسدته فحدقوا ابصارهم نحوه فانحلت عقدة سراويله وقد توسط حلقة المجلس فجعل يصلحها ونظر اليهم . . . فادار وجهه اليهم وقال الحمد لله الذي لم يجعل فيكم من يصلح لها فأبكتهم ونكاهم من تشمتهم بقيامه . اهـ ما قاله الزركشي بنصه (يتبع)

محمد البشير النيفر

مجلة الامالي

في عامها الثاني

مجلة الامالي من خيرة المجلات العلمية الثقافية التي تصدر ببيروت وقد قطعت مرحلتها الاولى بانتهاء عامها الاول فخورة بما نشرته من الابحاث الرفيعة الشان والمقالات المدبجة ببراعة علية الكتاب ذات المواضيع الثقافية الادبية الممتعة بما يدل على اتساع الحركة العلمية وانتشارها في القطر السوري العريق في المعارف والمجد وقد وصلتنا الاعداد الاولى للمجلد الثاني حافلة بالابحاث والمواضيع المتنوعة فنثني على همة صاحبها ومديرها الكاتب الفذ الدكتور عمر فروخ والهيئة المساعدة له. ونرجو للرصيفة حياة وانتشارا وكل تقدير

صفحة من تاريخ تونس

وثيقة تاريخية جليلة

(مارستان العزافين والمستشفى الصادقي)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

مما لا خلاف فيه ان مدينة القيروان في عهد الاغالبة ومدينة المهدية في زمن العبيديين ومدينة تونس في العصر الحفصي كان بجميعها ملاجي خيرية لمعالجة المرضى ومآوي للبائس وابن السبيل قاموا بذلك وفقا للمقصود من الاحباس التي كان يتصدق بها اهل البر والمعروف على اخوانهم المسلمين المعوزين في هاتيك العصور - فلما استقر الاتراك بهذه الديار في اواخر المائة العاشرة كان خيارهم من ذكور واناث بين سابق ولاحق في ميدان المشاريع الخيرية من شتى الاصناف وبديهي ان كان في المقدمة اعظم تلك القربات الى الله وهي المساجد لاقامة الصلوات ثم الحقوا بها المدارس لنشر العلم وصرفوا مع ذلك مجموع همتهم نحو حماية البيضة باقامة الثكنات والحصون والاسوار ثم مد الجسور والطرقات باطراف البلاد وعمروها بالاسبلة لتمهيد اسباب العمران - وممن حفظ لهم التاريخ جميل الذكر في هذا المقام الباي محمد ويدعى حمودة باشا المرادي فهذا الامير الصالح هو المؤسس لمارستان العزافين المعروف بتونس وهو موضوع الحديث . ولقد عثرت اثناء بحوثي المتواصلة للكشف عن مآثر اسلافنا الكرام برد الله مراقدهم على وقفية هذا المستشفى الذي كانوا يسمونه بالمارستان (١) فرايت من خدمة التاريخ نشر عبارة هذه الوثيقة الجليلة تخليدا لذكر صاحبها قدس الله سره وءاثرت بها هذه المجلة المباركة لاسيما وان العامة في تونس بل وحتى بعض الخاصة يعتقدون ان مستشفى العزافين من مآثر صاحبة الخيرات عزيزة عثمانة (٢) وهو مجرد وهم سرى لبعض المتقدمين درج

(١) لفظ مارستان محرف عن بيمارستان في اللغة الفارسية ودخل للاستعمال بتونس في عهد الدولة المرادية على يد الاتراك قال الشهاب الخفاجي : هو لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لان بيمار معناه المريض وستان هو الموضع واول من صنعه بقراط اه من كتابنا جيش الدخيل في اللسان التونسي الاصيل

(٢) اسمها عزيزة بنت احمد بن محمد بن عثمان داي دفين زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وكانت وفاته سنة ١٠١٩ وعلى عهده كان قدوم جالية الاندلس الاخيرة بتونس اما المحسنة حفيدته العزيزة عثمانة فقد التحقت بالدار الاخرة في حدود سنة ١٠٨٠ ودفنت بتربتها المجاورة للمدرسة الشماعية بحلقة النحال (لا النعال كما هو مشهور على السنة الناس بتونس)

عليه المتاخرون بسبب ان هذه المحسنة الكبيرة ما زالت لها صدقات جارية الى هـذا الزمان. وقع الاصطلاح على الحاقهـا من حيث الوجهة النظامية باوقاف المارستان كوقـفها المؤسس لتزويج البنات الابكار ووقفها الخاص بختن فقراء الصبيان الذين كانوا يباشرون اختتانهم يـوم عاشـوراء بسقيف المستشفى (١) ويزودونهم بالاكسية اللازمة من ريع ذلك الحبس فحسبوا ان المستشفى نفسه ايضا من حسنات تلك السيدة الكريمة ولم يكن هذا الغلط التاريخي بالمقصور على اهل تونس فقط بل نجده ايضا بين اهل البوادي ولنسق لك مثالا في ذلك ففي مدة مباشرتي لعمل بنزرت حضر لـدي ذات يوم شيخ قبطنة ليحيطني علما باحوال جهته وكان في جملة مقرراته الاعلام بنازلة رجل اصيب بطلقة مكحلة جعلت حالته في خطر فسالته هل عجل بعرضه على الطبيب فاجـاب : نعـم لمجرد وقـوع الحادث عجلت بحمل الجريح لمستشفى عزيزة عثمانة بفريفيل (كذا) قال ذلك معتقدا ان مستشفى فريفيل (٢) الذي هو مؤسسة عسكرية فرنساوية حديثة فرع لمارستان عـزيزة عثمانة الـذي لا وجود له الا في عالم الخيال او ان كل مستشفى يطلق عليه اسم عزيزة عثمانة .

اما الوثيقة التاريخية المشار اليها في مقدمة الكلام فهذه عبارتها :

الوثيقة التاريخية

الحمد لله الذي بيده الضعف والقوة وخلق الـداء والدواء وجعل الجرم كفارة للجرم جالبا للاجر دافعا للبلوى . يعلم ما ظهر وما بطن وما عليه كل انطوى . والصلاة والسلام على نبيـه الاكرم وطبيبه الاعظم سيد العرب والعجم سيدنا ومولانا محمد خاص المحبة عـام الرسالة والدعوى . رحمـة العالم وارومة دوائه قطب دائرة حكمه ومعدن شفائه المنزه في فصيح نطقه عن الهـوى . كفى دليلا بسورة والنجم اذا هوى . وعلى ءاله الاطهار واصحابه الاخيار انجم الهـدى واساس التقـوى . وبعد فلما كانت سلسلة الممكنات مرتبطة بوجود الحق تبارك وتعالى فكذلك ينتظم نظام كل مملكة بوجود امير او خليفـة فان الاصل ان السلطان امان من حوادث الزمان كان مما من الله به على هـذه الديار التونسية والبلاد الافريقية حضرة من انام الانام في ظل الامان . وانشأ لهم سحائب الخيرات والاحسان . فافاضها عليهم من هاطل وبلها الهتان . من رد بسياسته كيد ذوي البغي والطغيان . ومهد بهيبة رئاسته

(١) ختن الصبيان الفقراء تباشره جمعية الاوقاف بطريقة منتظمة في موسم عاشـوراء من كل عام واختتانهم يقع في هذا الزمان بمدرسة بير الحجار

(٢) فريفيل بلدة تابعة لعمل بنزرت ظهرت في عالم الوجود على راس هـذا القرن المسيحي واسمها مقتبس من اسم الوزير جول فيري مبتكر مشروع حماية فرنسا على تـونس ومن ملحقاتها بلدة تينجة تشتملان معا على نحو ثمانيـة ءالاف نسـمة اكثرهم من العملة الفرنساويين بترسخانة سيدي عبد الله بوراوي وقد اختصت تلك الجهة بانتاج ثمار الفراولة ذات التجارة الرابحة يصـدر منها ارباب السواني نحو اربعة ءالاف رطل في اليوم لفندق الغلة بتونس

طرق الخوف والعدوان . حتى سار بها الرجال والولدان . وذوات الخدور الخرائد الحسان . فكم قاس قساه بقسي سهمه السديد . فاصاب الغرض بحبل الوريد . وكم عاد اليه فعاد عليه بعائدة الصلة من فيض بحره المديد . وهو السيد الامين العلم الاظهر الشهير نخبة الامراء الماضين . وتحفة سلالة الباشات السالفين . مدبر حياة عسكر تونس المشهورة . وصاحب راياتها المنشورة . اخو الانابة والاصابة في القول والانشا . السيد ابو عبد الله محمد باشا . اعانه الله بعناية رعايته . وادام على المسلمين العافية ببقاء ولايته . اذ كان اعلى الله تعالى قدره . واحفل واجمل بجميل الثناء ذكره . مع اشتغاله بهذه السياسة العظيمة . والرئاسة الصميمة . له مزيد اعتناء بالتقرب بالقربات . من مواساة ذوي الحاجات والهيئات . والصدقات الوافية الجارية . والاحباس الصالحة الباقية . فمن ذلك ما تعلقت به الآن همته العالية . وتوجهت اليه وجهته السامية . رفقا بحال الفقراء ورثا لشان الضعفاء والمرضى . احدث مارستانا اليه ياوون . به دواءهم وقوتهم وما يحتاجون . وقد استقر على ملكه حفظه الله تعالى وابقى اسعاده وبلغه ما امله ١ جميع الفندق القبلي المفتح قرب القباقبيين . ومكتب العزافين داخل تونس المحروسة يحده قبلة حيث المفتح وشرقا حق الآن للدعيصي وجوفا حق للمؤذن الحاج محمد القصار وغيره وغربا الطريق بحقوقه ومنافعه ٢ وجميع الستة حوانيت المخرجة منها الشاملة لها حدوده المذكورة الخ ٣ وجميع الفرن المعد الان لطبخ الخ ٤ وجميع الكوشة المعدة الخ ٥ وجميع الفندق الجوفي الخ ٦ وجميع الحانوتين المخرجين من الفندق المذكور الخ ٧ وجميع المخزن الجوفي الخ ٨ وجميع الكوشة الشرقية الخ ٩ وجميع الحانوت الشرقي الخ ١٠ وجميع الكوشة القبلية الخ ١١ وجميع الفندق القبلي الخ ١٢ وجميع الحانوتين الشرقيين الخ ١٣ وجميع الفندق ذي البابين الخ ١٤ وجميع الفندق الغربي الباب الخ ١٥ وجميع الحمام الغربي الباب المحدث البناء الكائن ببلد الكاف الخ ١٦ وجميع الخمس حوانيت الملاصقة له الخ ١٧ وجميع الماء المجلوب من العين المعروفة بعين سيدي سالم الخ ١٨ وجميع الماء الخارج من الحمام المذكور الخ ١٩ وجميع الحمام الغربي المفتح ببلد زغوان الخ ٢٠ وجميع الاربع تبنات ماء من الماء الجاري بالبلد المذكورة الخ ٢١ وجميع الفرن القبلي المعد للخبز الكائن ببلد الكاف الخ ٢٢ وجميع الطاحونة المعدة لرحي الطعام الغربية بالكاف الخ ٢٣ وجميع الحمام الشرقي الكائن برحبة بنزرت الخ ٢٤ وجميع الكوشة والدار الملاصقة لها بربض بلد باجه الخ ٢٥ وجميع الفندق الغربي بها الخ ٢٦ وجميع النصف من جميع الدار الجوفية الباب الكائنة بحارة اليهود داخل باب السويقة من تونس المحروسة الخ وبعد تقرر ذلك كذلك حضر الآن لشهيديه السيد المعظم الارفع مولانا ابو عبد الله محمد باشا صاحب كرسي مدينة تونس المحروسة وهو الواضع طابعه هنا ايده الله ونصره وألهمه الخير وبصره . وهو المالك لجميع الربع المحدود المذكور اعلاه . زيد فخره وعلاه . ابن الامير المعظم المنعم المقدس المرحوم السائر الى رحمة الله الملك القيوم مولانا ابي

الظفر مراد باشا قدس الله روحه واسكنه من الجنان فسيحه واشهد حفظه الله تعالى انه حبس ووقف جميع الرباع المحدودة المذكورة اعلاه بما لها من الحقوق والمنافع وما يعد منها وينسب اليها على ما سيذكر مفصلا بعد فالفندق المبدأ بذكره جعله مارستانا منزلا لسكنى المرضى والجرحى من سفر البحر او المحال او الغزو في سبيل الله الفقراء الذين لا مال لهم وليس لهم من يقوم بهم ولا من يؤويهم بمدينة تونس فينزل به المرضى المذكورون ويقيمون مدة بقاء المرض بهم الى حصول الشفاء التام فاذا بريء من مرضه احد المرضى واخبر الطبيب بشفائه فالناظر بالمارستان المذكور اخراجه ولا فرق في المريض والجريح ان يكون عربيا او عجميا تركيا او غيره وباقي الرباع المذكورة كلها تصرف غلتها فيما سيذكر ويفسر بعد فمنها ما يكفيهم من القوت والدواء اللائق بحال كل واحد منهم ومن يقوم بخدمتهم وتمريضهم ليلا ونهارا الى بلوغ الغاية وكذا ما يكفيهم من الفراش والغطاء والوطاء من الحصر والمضارب والسفاسر والوزاري (١) شتاء والملاحف من الكتان صيفا ومن قدر الله بوفاته من المرضى المذكورين فالمارستان المذكور ينفق عليه ما يكفيه في كفنه ومواراته ودفنه وعين حفظه الله تعالى طبيبا ماهرا لعلاجهم فيعالج كلا منهم بما يليق به من الاشربة والمعاجن والدهان والمراهم على ان له بيتا من المارستان المذكور يضع فيه ما يحتاج اليه من الادوية وغيرها وحانوتا من الحوانيت الملاصقة للمارستان المذكور يجلس فيه وثمانية ناصريه (٢) واربع خبزات موظفة له كل يوم وعين ناظرا على المارستان المذكور ينظر في مصالحه ويقبض محصول اوقافه ويصرفها في مصارفها وله ست ناصريات (٣) واربع خبزات موظفة كل يوم وطباخا يطبخ لهم قوتهم من لحم وغيره وله خمسة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلا ينفق عليهم وكيلا للخرج وله اربعة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلا بوابا ملازما المارستان ليلا ونهارا يتعاطى غلق ابوابه وكنس عرصته وفنائه واستقاء مائه للشراب والغسل وغسل ثياب المرضى وغير ذلك مما يحتاجون اليه وله ثمانية ناصرية واربع خبزات كل يوم والخبز المذكور كل خبزة منه بناصري في زمن الرخاء والشدة (٤) حبس جميع الرباع المذكورة ووقفها على من ذكر كيف ذكر بما لها من الحقوق والمنافع حبسا حراما ووقفا دائما سرمدا

---

(١) الوزاري جمع وزرة وهي عبارة عن احرام من نسيج صوف الضان الاسود في غالب الاحوال وقد يكون من الصوف الأبيض واليها ينسب سوق الوزر بتونس خلافا لما يعتقده بعضهم من انها نسبة وزيرية

(٢) هذه الجراية المعطاة للطبيب كانت بمقدار جراية شيوخ التدريس فى ذلك الزمان

(٣) مفرده ناصري نسبة لمبتكره السلطان الناصر لدين الله وهو من مسكوك الفضه يقابله في المسكوك الذهبي الدينار المؤمني نسبة لعبد المؤمن بن علي وكانوا يلقبونه في افريقية بامير المسلمين وتلقب بعده المستنصر بالله الحفصي بامير المؤمنين

(٤) يستروح من هذا القيد انهم كانوا يعرفون في ذلك الزمان نظام المقاولات بطريقة المناقصة في لزم التوريد والتموين وشبه ذلك

لا يباع ولا يوهب ولا يورث الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا يبدل عن حاله . ولا يغير عن منواله الى ان يرثه الله قائما على اصوله محفوظا بشروطه فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم قصد بذلك ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم أنه يجزي المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين وذلك كله بعد التبدية بما يحتاج اليه الربع المذكور من بناء واصلاح حتى يبقى قائما على اصوله منتفعا به وجعل النظر في ذلك لولديه المعظمين الاسعدين المرفعين الامجدين السيد ابي الظفر مراد باي صاحب المحال المنصورة والسيد ابي عبد الله محمد باي صاحب سنجق مدينة القيروان المحمية وسوسه والمنستير وصفاقس والبلاد الساحلية حفظهما الله تعالى ثم للاكبر فالاكبر والاصلح فالاصلح من اخوتهما الذكور ثم لاولادهم واولاد اولادهم واعقابهم واعقاب اعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الاسلام لا يتقدم اهل الطبقة السفلى على اهل الطبقة العليا في النظر ولو كانوا اسن منهم واذن حفظه الله تعالى للناظر الآن في المارستان المذكور وهو الاجل موسى خميرة الاندلسي في قبول ذلك منه وحوزه جميع الرباع المسطورة عنه فحضر وقبل ذلك منه قبولا تاما واحاله على ثواب الاخرة شهد على اشهادهما بذلك في الحالة الجائزة من وقف على الاستقرار المذكور كيف ذكر بتاريخ اواسط شهر ربيع الاول الشريف بمولده صلى الله عليه وسلم تسليما عام ثلاثة وسبعين والف بمعرفة الناظر المذكور والمعرفة بالسيد محمد باشا المذكور تامة حفظه الله تعالى واحسن اليه - بشهادة الفقيهين الاعدلين الشيخ ابي عبد الله محمد المحرزي والشيخ المفتي عبد الله ناجي (١) فهذه نسخة ذلك على ما هو عليه فمن قابله باصله اتفقا وكانا نصا سوا وشهد بذلك هنا اوائل حجة الحرام من عام مائة والف اه يليه عقدا شاهديه

بعد هذا نقول ان صريح عبارة هذا التحبيس تفيدنا ان مارستان العزافين كان باصل وضعه مستشفى خاصا بالغزاة والمجاهدين المسلمين في البر والبحر وبالتالي وقع التوسع في النفع به لفائدة عموم فقراء المسلمين لا سيما بعد القضاء على القرصنة البحرية ومحو قوانينها من لوحة الوجود فكان المارستان المتحدث عنه من يومئذ قاصرا على الفقراء والبائسين من اهل البلاد طيلة العصر الحسيني وقد توفق الباشا علي باي الثاني ابن حسين بن علي بتعزيزه بتكية للرجال واخرى للنساء في سنة ١١٨٨ ومن القدر المقدور ان كان القرن الثالث عشر للهجرة مرتعا لمقدمات التمدن الاوروباوي بتونس وفي اثنائه توثقت روابط الخلطة بين تونس وبين البلاد الاوروباوية ولا سيما فرنسا الفخيمة حامية هذه الديار فاخذت الدولة التونسية من يومئذ تتدرج في مراقي النهوض بالحاضرة المحمية اقتداء بعواصم اوروبا الى ان كانت دولة المشير محمد باي فامضى بمساعدة الدولة الفرنساوية اتفاقا في التحمل بسبعة ملايين ريالا لجلب ماء عين زغوان لمدينة تونس التي كانت ترتوي منه قبل

(١) لم نقف على اسم هذا الفقيه بسلسلة الفقهاء التي بين ايدينا

ذلك بستمائة سنة في عهد المستنصر الحفصي بواسطة القناة التاريخية التي اقامها لذلك الانبراطور هادريان في اوائل القرن الثاني الميلاد والخامس قبل الهجرة وكان في مقدمة النظامات الجديدة التي ادخلها المشير المذكور لبلاده مشروع عهد الامان الذي اعلن به اخوه من بعده واسس المطبعة الرسمية واشترى لوازمها من باريس كما اسس مجلسا بلديا بالحاضرة ووضع نظاما الديوان الشرع المطهر وسن له قانونا جامعا من انشاء صهره الشيخ محمد بيرم الرابع وخلفه بكرسي الايالة في سنة ١٢٧٦ شقيقه المشير محمد الصادق باي فسار في منهج الاصلاح العصري من حيث انتهى سلفه ووجه مهجته باجمعها في ذلك السبيل مبتدئا بالاعلان بقانون عهد الامان المشار اليه ونصب المجالس الناتجة عنه ثم احدث جريدة رسمية للحكومة وهي صحيفة الرائد التونسي التي هي اليوم في السنة الثامنة والثمانين من عمرها الزاهر السعيد ووضع ترتيبا للوزارات ووسع في دواليبها التي انشأها من قبله ابن عمه المشير الاول احمد باي واعار جانبا عظيما من نشاطه للجانب العلمي فوسع في ارزاق شيوخ التدريس بجامع الزيتونة واقام المكتبة الصادقية مكان المكتبة الحفصية بالعبدلية التي عفت رسومها من اواخر المائة العاشرة متمما بذلك مشروع ابن عمه المشير احمد باي الذي عمر صدر جامع الزيتونة بخزانة كتبه الثمينة التي احدثها في سنة ١٢٥٦ ووضع ترتيبا للتدريس بالجامع وءاخر لضبط احوال الاشهاد العام وآخر لتحسين احوال السجون واهلها وءاخر للفلاحة الخ الخ وكانت مفخرة مساعيه الجليلة في باب المستجدات العصرية تاسيس المدرسة الصادقية كل ذلك تم على يد وزيره الناصح الامين المرحوم خير الدين وهنا لا مناص لنا من الاشارة لكون الاصلاحات التي تمت على يد خير الدين كان لاهل العلم نصيب فيها لا سيما العلماء الاعلام والشيوخ العظام منهم الشيخ احمد بن الخوجة وكان في راس تلك الطائفة الصالحة ومن رجالها الاطهار ايضا الشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد بيرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ مصطفى رضوان والشيخ سالم بوحاجب والشيخ عمر بن الشيخ وغيرهم الهداة الاعلام والمقام لا يقتضي التوسع بأكثر من هذا لان زيادة البسط فيه تبعدنا عن الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه فلنرجع بقراء المجلة لروح المقصود ونقول ان من متممات الاصلاحات التي وقع انجازها في عهد الدولة الصادقية المستشفى الصادقي وهذا المستشفى الذي شمله برنامج الوزير خير الدين لم تهيئ له الاقدار اظهاره لعالم الوجود لانه بارح الوزارة قبل انتهاء اعماله فيه وبعد تهيئة اسبابه لان يكون مستشفى اسلامي تام العدة يحاكي المستشفيات الاروباوية لاسيما وانه كان يومئذ بتونس مستشفى خاص بالاروباويين واسمه مستشفى صان لويس يعالجون فيه مرضاهم (١) فتخلى خير الدين عن الوزارة

(١) في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ظهر على يد قنصل فرنسا اول مستشفى للجالية الاروباوية بتونس وكان موقعه بحومة سيدي المرجاني داخل باب البحر وكان يعرف بين اهل البلاد باسم « سبيتار النصارى » ولفظ سبيتار محرف عن hopital في الفرنساوية ومعناه مستشفى وبالتالي عوض هذا المارستان بمستشفى ءاخر اوفر منه مرافقا واحسن مناخا وفي سنة ١٢٤٩ وقع تحويل

في سنة ١٢٩٤ وتولاها مكانه (موقتا) الوزير محمد خزندار وفارقها بعد شهور فتقدم لها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٥ وحاول ان يبني لنفسه — ولكن بدون اساس — صرحا من المجد قياسا على صنيع سلفه الاسبق خير الدين وهنا دبر عليه بعض خواصه بالشروع في بداية امره باستمالة العلماء واعيان البلاد اليه حيث كانوا على بينة من نشأته واطواره فبادر لاشتراء كتب المرحوم امير الامراء عصمان قائد عساكر الساحل واضاف لها ما وصلت اليه يده من كتب الوزير الاسبق مصطفى خزندار وحبس جميع ذلك على اهل العلم بجامع الزيتونة ثم سعى في اتمام مشروع المستشفى الصادقي الذي بقي معطلا من عهد خير الدين وفعلا تم ذلك في اوائل صفر سنة ١٢٩٦ ووقع نصبه بالقشلة المعروفة بقشلة البشامقية (١) ونقل اليه مرضى مارستان العزافين وجعلت نظارته للشيخ محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف التي كان بيدها من قبل حق التصرف في مداخيل الرباع والعقارات الموقوفة على مارستان العزافين وفي يوم افتتاحه ترأس سمو الباي المعظم بنفسه على حفلة التدشين اظهارا لعنايته بهذا المشروع الجليل واشرف بذاته على المرضى واوصى بهم خيرا وخطب في ذلك المجلس وحوله وزراؤه ورجال دولته واهل العلم فقال والكلام من انشاء وزير القلم الشيخ محمد العزيز بوعتور : لقد سرني ما شاهدته من حسن وضع هذا المستشفى المبارك واستحسنت ترتيبه وتنظيمه وانا اشكر جنابك ايها الوزير الاكبر (مصطفى بن اسماعيل) على اعتنائك بهذه المصلحة التي نرجو ان تكون

المارستان الاول بمساعي قنصل فرنسا لكنيسة اطلق عليها اسم « سانت كروا » رمزا لطغمة الرهبان الثالوثيين المنتصبين بها وهذه هي عين الكنيسة الموجودة لهذا الزمان بنهج الكنيسة بتونس trinitaires وهذا نص الامر الملوكي الصادر بذلك من المرحوم المولى حسين باي :

من عبد الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه حسين باشا باي امير افريقيا وفقه الله لما يرضاه وعانه (كذا) على ما اولاه الى معاهدنا القنصل اسكندر دفال القائم بقنصاية دولة الفرنسيس بتونس اما بعد فانه وصلنا كتابكم في شان كنيسة لاجتماع النصارى فيها وجميع ما ينتم لنا علمناه والجواب نحن اعطيناكم المكان المعروف بالسبيتار داخل باب البحر وجعلنا كراءه الف ريال كل عام وان كنا سابقا ناخذ منه كراء كثيرا لكن مساعدة احوالكم ءاثرناها وقد ءاذناكم في التصرف فيه على الوجه المناسب لكم ولا زائدا الا الخير وكتب في ٢٨ محرم سنة ١٢٤٩ اهـ ثم في سنة ١٢٦١ تفضل المشير احمد باي باسقاط جملة الكراء الموظف على هذه الكنيسة وزاد في مساحتها بما يقرب من مساحتها الاصلية

(١) قشلة البشامقية هي احدى القشلات الخمس التي احدثها المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني بتونس والاربع الاخريات هي قشلة الزنايدية وبها اليوم دواوين ادارة جمعية الاوقاف وقشلة العطارين وبها اليوم المكتبة العمومية الفرنساوية ومدرسة اللغة والاداب العربية وادارة الانطكخانة وقشلة سيدي عامر البطاش وتسمى ايضا قشلة المال لان المشير احمد باي نصب بها البنك التونسي الذي كانت حياته قصيرة وءال امره للافلاس وبها اليوم مصالح الجمعية الخيرية الفرنساوية وهي الكائنة بطحاء نهج سيدي علي عزوز وقشلة الحنفية وهذه عفت رسومها واقام المجلس البلدي مكانها بطحاء فسيحة مشجرة للعموم وهي الكائنة بسوق الوزر

محققة النفع حيث انجزتها في اقرب وقت وعلى وفق المامول كما اني اثني على من باشر وضعه على وفق المقصود منه وبذل جهده في ذلك واحث من انتخبناهم لاجراء ترتيبه على الاعتناء بما تقتضيه مصلحة المحل وسكانه ببذل كل منهم جهده في ذلك بما تقتضيه ماموريته ونرجو من الله تعلى ان يرينا نفعه ويعين اولئك المنتخبين على ما يثمر لهم الشكر واحرض جنابك على الاعتناء باعانتهم والمحافظة على اجراء ترتيبه واحترامه والمامول من الله تعالى ان يقر اعين الاهالي بما يشاهدونه من راحة سكانه وانتظام حالهم وعموم الشفاء لهم اه

وقد ارخه صاحبنا المرحوم العلامة المورخ الشيخ محمد السنوسي بابيات ننقلها هنا اتماما للفائدة

لمشير تونس خير فضل يقتفى ... فيما اشاد الى الاهالي واصطفى
فحمى جميعهم بفضل وارف ... وحباهم منه الحباء الالطفا
نشر المعارف والعوارف بعد ان ... حاط المحاكم والزروع بما كفى
والان اثل خير مستشفى به ... حفظ الحياة لكل شخص قد وفا
واتى يعود جميعم في موكب ... ظل الفخار عليه اضحى مورفا
حتى غدا كل ينادي داعيا ... ويقول في التاريخ لي قدم الشفا

١٢٩٦

وبالتالي زيد في توسيع محلات المستشفى الصادقي بادخال المدرسة اليوسفية في عموم ابنيته ثم باستلحاق جميع الدور والحوانيت المجاورة له بنهج البشامقية كما الحقت به ايضا الارض الفسيحة الكائنة بالقصباء التي كانت موقعا لمقبرة السلسلة الدارسة التي سبق نقل رفاتها لمقابر الزلاج لنحو ثلاثين سنة فارطة بحيث لقد اصبح اليوم المستشفى الصادقي في ابتهاجه وانتهاجه يضاهي ارقى المستشفيات العصرية بحسن مناخه ومرافقه وانتظام احواله كل ذلك مع بقائه على قاعدة الاختصاص بمعالجة المرضى المسلمين دون غيرهم وحيث اصبحت مداخيل اوقافه المنجرة له من مارستان العزافين غير موفية بحاجاته لما تناوله من التوسيع والضبط والاصلاح الملائم للنظم الصحية العصرية لتحقيق النفع به لقصاده الكثيرين من اهل الحاضرة وغيرهم فان الدولة اغدقت عليه بما فيه الكفاية من الميزانية العامة للقيام بمهمته الجليلة بحيث هو اليوم جدير بان يعتبر في مقدمة التاسيسات التونسية النافعة التي يحق لنا الافتخار بها بين عموم عناصر السكان لا سيما اذا اعتبرنا ما نتج عن نظامه الحديث من تهيئة طبقة معتبرة من المعاونين الطبيين التونسيين الذين بلغوا في الحذق لصناعتهم منتهاه وعم بهم النفع في الحواضر والبوادي وربك يخلق ما يشاء ويختار

محمد بن الخوجة

صفحة من تاريخ تونس　　　　صلة تونس بالدولة العلية

بعثة خير الدين للاستانة

سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٨ »

الحمد لله　　وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

الهمام المفخم أمير الامراء الوزير المباشر السيد خير الدين حرسه الله تعلى السلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد فان المعظم الارفع مولانا وسيدنا دام عزه وعلاه لم يزل ملاحظا لما ضمنه املي جنابه من ان المناسب هو الاقتصار على الطابع السعيد في كتابه الابواب العلية وللصدارة وان تصحيحنا فيهما غير لازم ولاجل ذلك كتب ايده الله تعلى نظيرين منهما مختومين بالطابع السعيد فقط وهما الواصلان لكم ونرجو انهما يصلان اليكم قبل الاحتياج لتسليم الاولين الذين بايديكم فاذا بلغا اليكم قبل ذلك فانك تبقي الكتابين الاولين وتسلم هذين وقد كاتبناكم بالتلغراف بالارقام لتعلم بمجرد وصولكم على خبر ذلك واذا تاخر عنكم ورود ما ذكر وخشيت التعطيل او ان يقع في الظن شيء فانك لا تضيع الوقت في الانتظار ويرى الحاضر ما لا يراه الغائب وعلى فرض انه لزمك تسليم الاولين وتوجه اعتراض فان الاعتذار عن التصحيح هو الاهتمام بحال النازلة وبموجب هذا التلغراف يكون ابتداركم فيما تكاتبنا به بالتلغراف حرف التاء المثنات ونسركم ان الحضرة العلية ونحن وجميع الاهل بخير الشكر لله تعلى والله تعلى يمدكم باعانته وحفظه والسلام من الفقير الى ربه تعلى امير الامراء الوزير الاكبر مصطفى　　وكتب يوم ٢٤ السبت من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

مصطفى

(وبطرته) الحاق خير وقد كنا تكلمنا معكم في شان النيشان ونعرفكم بان الحضرة العلية لم نات لها نيشان المجيدية المرصع نبهناك لهذا والله تعلى ولي عونكم والسلام　　مصطفى

« ١٩ »

صورة التلغراف الرمزي الموجه من الوزير المباشر خير الدين لجناب الوزير الاكبر التونسي مؤرخا من اسلامبول في الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

٢٢»١»١٤»٢٦»١٧»٢٦»١٤»١٦»٢٩ ٢»٢٦»٢٥»٢٨»١٩»٢٩»١٤»٢٨»١»٢٩»٢٤»٢٩»

٢٦»٢»٢٦»١٤»٢٨»١٩»٢٦»١٨»٢٥»٢١»٢٨»٢٩»١٤»١٧»٧»٢٩»٩»٢٥»١٥»٥»١٥»٢٦»٧

١٦»٧»٢٨»١٥»١»٢٩»٢٤»٢٩»

ومفتاح ذلك اعتبار الباء مبدأ الحساب في ترتيب حروف الهجاء فيكون النص بعد الايضاح :

قبل وصولنا توفي عالي باشا وتولى عوضه في الصدارة محمود نديم باشا

« ٢٠ »

صورة التلغراف المؤرخ في ٢ رجب سنة ١٢٨٨

٢٨»١٣»٢٧»٢٥»١٤»٢١»٢٨»٢٩»١٣»١»٢٨»١٣»٢٥»٩»٢٧»٨»٢٥»٢١»٢٨»١٣»٢٦

٢٧»١»٢٢»٨»٢٨»١٣»٢٧»٢٥»١٣»٢٨»١٣»١٢»٢٦»١٤»٢٠»٢٧»٢٨»١٣»١٥»٢٨»٩»١٣»

٢٤»٢٦»١٥»٢٤»٣»٦»٢٧»٢٨»١٣»١٥»٢٨»٩»١٣»٢٤»٢٦»١٥»٢٤»٣»٦»٢٧»٦»٢٠»٢٧»

١٨»١٨»١٣»٢٧»١٢»٢٥»٢٨»١٩»٧»٢٨»١٣»١٥»٢٨»٩»١٣»٢٤»٢»١٤»١»٢١»١٨»٢٨»١٣

١٤»٢١»٢٨»٢٩»١٣»٢٤»١٣»١٣»١٢»٢٦»١٤»

وفي هذا ينبغي اعتبار بداية الحساب بحرف التاء حسب الاصطلاح فتكون ترجمة البرقية :

اليوم قابلت الوزير وقال لا يتيسر اليوم الكلام في النازلة لانه جديد في الخطة فيلزمه الاطلاع على كواغذ النازلة ثم تقع المقابلة للكلام

***

وهكذا في كل برقية ينتقل من حرف الى آخر على ترتيب المعجم ليكون ذلك الحرف هو الاول في الاعتبار ويكون الحرف بعده ذا الرقم ٢ وهلم جرا - ولا فائدة في التطويل باثبات نصوص البرقيات على صورتها الرمزية فلنكتف اذن بنقل ترجمتها بلسان القلم

« ٢١ »

ترجمة برقية للوزير الاكبر بتاريخ الخامس من رجب سنة ١٢٨٨ (مفتاح حلها حرف الثاء) :

بلغنا تلغرافكم المؤرخ بيوم الاثنين والمكاتيب لم تصلنا الآن واليوم قابلت الوزير مرة ثانية فاخبرني انه لم يزل يتأمل في النازلة وعن قريب تقابل للبحث عن كيفية فصلها

« ٢٢ »

برقية له في ٩ رجب (مفتاح حلها حزف الجيم)

في هذا اليوم وقع كلام اجمالي مع الوزير يظهر منه انه ليس لهم مطالب خارجة عن دائرة ما يمكن قبوله وبعد الاتضاح نشرح لكم الحال

« ٢٣ »

نص مكتوب للحضرة العلية مؤرخ في ٥ رجب سنة ١٢٨٨

قد وصلنا بحمد الله تعالى الى اسلامبول صبيحة يوم الاربعاء الفارط ولقينا بسعادتكم في حال نزولنا وبعده مزيد الاكرام اللائق بخدام حضرتكم مع ما صادفناه عندهم من التغيرات والتبديلات الواقعة في الوظائف السياسية الناشئة عن موت الصدر الاعظم عليه رحمة الله وخلفه في الصدارة سعادة محمود نديم باشا وقد قابلته يوم السبت الماضي لكن لخلو ذهنه من اصول نازلتنا لزم تاخير الكلام الى مقابلة اخرى

والحاصل انا لم نر بحمد الله من اول السفرة الى هذا الوقت ما نتكدر منه الا وفاة خديم حضرتكم امير اللواء السيد الياس جعله الله تعلى فداء حضرتكم المحمية ثم قبل كتب هذا بنحو ساعة قابلت الوزير المذكور مرة ثانية فاخبرني انه لم يزل يتأمل في النازلة وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية الانفصال في شانها هذا ملخص ما عندنا الآن انهيناه لحضرتكم السامية ومهما يتجدد عندنا امر نبادر بانهائه بالتلغراف الى جناب الوزير الاكبر والله تعلى يديم تايدكم وعزكم

« ٢٤ »

للوزير الاكبر في عين التاريخ

فانا بحمد الله لم نر في هذه السفرة الى الآن امرا مكدرا الا وفاة المرحوم سي اليـاس جعله الله فداءكم من البـاس وتفصيل السفرة انا لما راينا طيب الهواء في اول مسيرنا ترجح عندنـا ان نغتنم فرصة هدو البحر ونقصد طريق اسلامبول من غير تعريج الى مالطة فسالنا عن الفحم فقالوا يكفينا الى اسلامبول فقصدنا طريقها ولم يتغير علينا الهواء الا بقرب البوغاز فهناك تحركت رياح معارضة لسيرنا ولو كنا ذهبنا لمالطة لكانت تصادفنا في البحر الكبير وربما نرجع بها الى خلف وكان وصولنا الى اسلامبول في صبيحة يوم الاربعاء الفارط فمكثنا بالفابور الى ان اتانا مأمور من قبطان باشا وبعد ذهابه اطلقنا مدافع السلام فاجابتنا مدافع الترسخانة هناك وقبل نزولنا بلغنا خبر وفاة الصدر عالي باشا ومحمد قبرسلي باشا فالاول مات يوم الاربعاء والثاني يوم الخميس الذي يليه وهو يوم ركوبنا من تونس ثم وجه لنا قايق من قياق السلطان وبه مامور من الباب العالي فنزلنا فيه الى البر ووجدنا كروسة عينوها لركوبنا ما دمنا هناك وانزلونا بدار كانت معدة لسكنى رئيس الضبطية ولم نزل نرى الاكرام يتزايد كل يوم ولما كان يوم الخميس والجمعة لا خدمة فيهما تاخرت مقابلة الصدر الى يوم السبت والصدر الجديد اسمه محمود نديم باشا ولم يقع بيننا في المقابلة الاولى الا ما اخبرت به سيادتكم بالتلغراف واما ما كان من خبر سي الياس فانه بعد نزولنا تخلف بالفابور لترتيب احوال البحرية وكان العزم

انه من الغد يقدم للدار التي نحن بها ليقيم معنا فما راعنا الا وشخصان من بحريتنا يقرعان الباب في اخر الليل فاخبرانا بموته فسالناهما عن السبب فقالا لم نر لذلك سببا سوى انا كنا جالسين معه بالقمرة في اول الليل فسمعنا زعزعة شديدة بالفابور فقام السيد الياس فزعا من ذلك وظن ان الفابور ادركه الغرق فتبين ان فابور البوسطة السلطاني صادم فابورنا صدمة شديدة حتى اقلعت قروته التي بالبروة وبموجب ذلك ادخل الان للترسخانة للاصلاح ثم ان السيد الياس بعد سكون روعه قدم اليه العشاء فاكل كعادته ثم ذهب لينام فاخذه القيء اولا ثم تهوع ليتقايا ثانيا فلم يقدر ثم اضطجع يتاوه ثم انقلب على جنبه تخاطبه الحاضرون فلم يرد عليهم فارسلوا لطبيب الفابور القريب منهم فما اتى الا وقد نجز رحمة الله عليه فامتحنه الطبيب فقال انه مات بما يشبه النقط عافاكم الله وقد صار لدفنه موكب عسكري حفيل حضره نائب وزير البحرية بنفسه وهو ابراهم باشا وذهب وراء جنازته راجلا والمطر يهمي على راسه ولم يزل واقفا في المطر حتى وقع الفراغ من الدفن وكان دفنه بتربة قاسم باشا المعدة لدفن الكبراء عندهم ثم اني قابلت الصدر مرة ثانية في يوم التاريخ فاخبرني بانه لم يزل يتامل في النازلة وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية فصلها وقد ورد علينا تلغرافكم الثالث المؤرخ بامس التاريخ يتضمن انتظاركم لعلم ما وقع في النازلة وسؤالكم عن وصول المكاتيب الموجهة من جنابكم فاجبناكم بان المكاتيب لم تصلنا الان لعدم مضي المدة التي يمكن فيها وصولها واما انتظاركم لعلم ما وقع في النازلة فسيادتكم تتحقق انا لو حصلنا على ادنى علم مفيد لكنا نبادر بانهائه في الحين الى جنابكم لكن لا يخفى سيادتكم ان موت الصدر من الامور التي حدث بها تبدل كبير في الوظايف السياسية كما تتعرفون ذلك من الجوايب وممن تبدل امس التاريخ شيخ الاسلام وتولى مكانه عالم يقال له منلا افندي فافكار القوم مشغوله باحوال التبدلات المشار اليها ومع ذلك فقد وقع الوعد بمناجزة الانفصال والتسديد بيد الكبير المتعال (كذا) وبمقتضي ما نشأ عن موت الصدر المذكور من انقلاب الوظائف وصيرورة اربابها الآن غير معروفين لنا ولا عارفين باحوال نازلتنا ربما يخشى منه التصعب كما انهم بمنة الله واعانته ربما يكونون من قسم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان كنا الى الان لم نر منهم الا البشاشة وقد اخبر الصدر يوم التاريخ انه عما قريب يقابلني بحضرة السلطان ويصلكم مع هذا مكتوب للحضرة العلية من جناب الصدر الجديد في الاعلام بولايته جعله الله مباركا على الاسلام والسلام

الحاق خير اذا ظهر لجنابكم ان تطلب من فضل الحضرة العلية اعانة ايتام المرحوم السيد الياس فلا باس بذلك فاني نظن انهم محتاجون ودمتم

تنبيـــه

ضاق نطاق العدد عن نشر قسم من ديوان الشيخ الورغي وسنتابع نشره ان شاء الله في الاعداد القابلة

اقترحنا على شاعرنا المجيد الاديب الكبير الشيخ الطاهر القصار ان يعارض قصيدة الورغي التي عارض بها « يا هبة باكرت من نحو دارين » فاجاد وبلغ غاية المراد في هذه المعارضة التى وصف فيها عشية في شاطيء رواد مع جمع من اخوان الصفا

عشية في شاطيء رواد

للعالم الاديب الشيخ الطاهر
القصار المدرس بجامع الزيتونة

يمم برواد مرعى الشاء والنون ... واصرف حديثك عن غيطان جيرون
وخذ على الشاعر الورغي غفلته ... عن ذكر رواد في وصف البساتين
شط حبته الصبا درعا مزردة ... تبدو بشمس المسا في خير تلوين
تخاله ذوب فاروز يخالطه ... ذوب اللجين بتمويه وتزيين
تميس مثل القطا امواجه مرحا ... فيزدري حسنها بالخرد العين
تاتيك صامتة حتى اذا بلغت ... الى الضفاف اهلت بالتلاحين
كانهن قيان حركت وترا ... من عود اسحاق في ايوان هارون
أو أنهن مزامير قد ابتدرت ... من نفخ داوود حظا غير مغبون
فترقص الطير في عليائها جذلا ... وتنثني طربا خضر الافانين
وينعم النعم الراعي بضفته ... بكمأة وبماء غير مأسون

***

شط فسيح نقي العرض من دنس ... ومن مظاهر اصباغ وتلوين
ومن مزيف حسن غب تطرية ... من المساحيق تغري كل مأفون
به الطبيعة قد جلت محاسنها ... في معرض الوصف عن شك وتخمين
رمل كحلة ديباج يريك به ... وقع الحوافر اشكال التعابين
ومنزه غادر الوسمي روابيه ... تختال عجبا بتيجان الرياحين
فيدري حسنها آمال خاطبها ... في ساحة الروض من تين وزيتون
صفت بجانبها الاكواخ آهلة ... بسادة البدو والعرب الميامين
لهم من الشمس اولى القبلتين وفي ... بيوتهم موئل السفر المضاعين
ففي البداوة حظ النفس مكتمل ... في يسر عيش من الانكاد مأمون
وفي البداوة حسن غير مفتقر ... لما عهدناه من صبغ وتحسين
لله وقت تقضى عند شاطيء رو ... واد الجميل بانس غير موهون
في رفقة زانت الآداب مجلسهم ... في ما يصوغون من نثر وموزون
عشية من يد الدنيا قد اختلست ... تقل في حقها اموال قارون
سيقت الينا بها اللذات اجمعها ... لكنها بين مشروع ومسنون
والقوم في لجة الآداب قد نسجوا ... لصيد در ولاستخراج مكنون
هذي الاماني فدع من قال عن وله ... « ياهبة باكرت من نحو دارين »
وقل لمن يبتغي للنفس راحتها ... يمم برواد مرعى الشاء والنون

الطاهر القصار

الوعظ والارشاد

استقبال شهر رمضان

بقلم الفاضل الواعظ الشيخ الجيلاني حمزه

الحمد لله الذي فضل شهر رمضان وجعله شهر البركة وشهر العبادة وشهر الاحسان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الديان ، واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله النبي العدنان ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله واصحابه ومن تبعهم باحسان وسلم تسليما كثيرا اما بعد فيا عباد الله لقد هبت عليكم الان نسمات رمضان الزكية ، واشرقت عليكم انوار ايامه ولياليه الزاهرة البهية ، فاهلا وسهلا برمضان ، اهلا وسهلا ومرحبا بطلعتك الميمونة يا شهر الامة وموسم الغفران ، هنيئا لك بزيارتك المباركة ايها الطبيب الجليل ، والحاذق النبيل ، فايامك ولياليك ساطعة الانوار ، وبركات ساعاتك مشاهدة لاولي البصائر والابصار ، ما صامك احد ايمانا واحتسابا الا قبل منه صومه ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، فانت شهر الربح ، ورمز العفو والصفح ، فيا ليت شعري من لم يربح فيك ففي اي وقت يربح ، ومن لم يجتهد بالطاعة في ايامك ففي اي وقت يسعد وينجح ، انت زمن البركات ، وشهر الطاعات ، من رحم فيك فهو المرحوم ، ومن حرم خيرك فهو المحروم ، انت موسم التجار من اتجر فيك بالاعمال الصالحة كان ربحه عتق رقبته من النار فاستقبلوه ايها الاخوان بالفرح والسرور وعمل الطاعات ، ولا تستقبلوه باللهو واللعب والاخلاد الى الشهوات ، تزودوا فيه بالاعمال الصالحة والقربات ، واملئوه بالحسنات والصدقات والصلوات ، فلقد جعل الله الحسنة في رمضان بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما لا يعلم له مقدار وجعله مكفرا لذنوبكم ومالكم من سابق الاوزار ، فاحمدوا الله على هذه الرحمة العظيمة الغالية ، واشكروه ان امد في انفاسكم واحياكم حتى شاهدتم رمضان مرة ثانية وانتم بصحة وعافية ، فقد كان اسلافكم يفرحون الفرح الشديد بقدوم رمضان ويعدون ادراك رمضان فضلا من الله ونعمة وكرما ورحمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول « قد جاءكم شهر رمضان مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح ابواب الجنان وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة القدر خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم » وكان يحرض اصحابه على العبادة في رمضان يرغبهم وينذرهم . فلنتسابق اذن ايها الاخوان الى العمل الصالح في ايامه ولنكثر من اعمال البر والاحسان ، والتسبيح والذكر وقراءة

القرءان . فقد تبين لكم بالمحسوس ان ايام رمضان غنيمة عظيمة هنيئا لمن ابتدرها، وفرصة ثمينة هنيئا لمن انتهزها وحصلها، فكم من فرص مرت ندم عليها من اغفلها فكثير منا كان يؤمل ان يصوم هذا الشهر مرة ثانية فخانهم الامل وصاروا قبل مجيئه في ضيق القبور وتحت الجنادل والصخور . قال صلى الله عليه وسلم (ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم الا يكون ازداد خيرا وان كان مسيئا ندم الا يكون نزع) فانتهزوا رحمكم الله هذه الفرصة قبل ان يفاجئكم الموت فتندموا وتقولوا ياحسرتنا على ما فرطنا في جنب الله . واعلموا يا عباد الله ان للصوم فوائد كثيرة لاتحصى لا باس بذكر شيء منها ليتعرف الصائم مقدار نعمة الله عليه بهذه العبادة فيزداد حبا لها . منها ان الله يكرمه ويرضى عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن ءادم له الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل الا الصيام فانه لي وانا اجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلي) يتبين لنا من هذا الحديث ان الله يجازي الصائم الجزاء الاوفى حيث ان الصوم لا رياء فيه . قد تصلي ليقول الناس انك مصل او تزكي ليقولوا انك كريم اما ان تصوم طمعا في ان يقول الناس انك صائم فهذا لا يكون ابدا . ومنها انه وقاية من النار قال صلى الله عليه وسلم الصوم جنة اي وقاية من النار ومنها انه يشفع لصاحبه يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الصيام والقرءان يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرءان منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) ومنها انه يدخل الجنة من باب الريان قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون . ومنها ان الله اكرم هذه الامة بخمسة اشياء قال صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبيء قبلي اما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابدا . واما الثانية فان خلوف افواههم اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله يامر جنته فيقول لها استعدي وتزيني اوشك عبادي ان يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتي واما الخامسة فانه اذا كان ءاخر ليلة غفر لهم جميعا ومنها صحة البدن وقد اثبت الطب ان الصوم علاج نافع لامراض كثيرة كامراض المعدة التي قل ان يسلم منها احد ولا سيما الذين تعودوا التفنن في المآكل والمشرب وللمناسبة اذكر لكم ان طبيبا اجنبيا عرض عليه مريض قد اعيا الاطباء امره فقال لا دواء له الا الصوم فقالوا هو صائم بطبيعته فقال لا انما اريد صوم محمد (صلى الله عليه وسلم) فجربوا ذلك الدواء فعادت عليه صحته . ومنها غرس ملكة الصبر على المكاره قال صلى الله عليه وسلم الصيام نصف الصبر . ومنها تذكير الموسر بحالة الفقير المعسر فان الغني متى أحس بمرارة الجوع وحرارته عرف ان هناك طائفة دفعها الفقر وآلمها البؤس فيحمله ذلك على ان يمد اليهم يد المعونة فيخفف من بؤسهم ويلطف من عنائهم . ومنها اجابة الدعاء وذلك من .

عنـاية الله بالصائم قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم (ثلاث لا ترد دعوتهم الامام العـادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم) ومنها فرح الصائم عند فطره وفرحه عند لقاء ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومـه) وليس المراد بفرحه عند فطره فرحه باكله وشربه وانما المراد فرحه باتمـام صومه وتوفير اجره وقد جمع الله جميع هذه الحكم في ءاية واحـدة من كتابه العزيز فقال : (يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . عباد الله ان جميع هذه الحكم العالية والمزايا الكـاملة التي تكرم الله بهـا على هـذه الامة المحمـدية التي جعلها خير أمة اخرجت للنـاس لا شك انها تزيد في ايمـانكم وترغبكم في مضاعفة الطـاعة والانابة الى ربكم وتتيقنون بها ان شهر رمضان ليس كما يزعمه بعضهم هو شهر سهر وضياع وقت ولعب ميسر وسرف وعصيـان ولكنه شهر عبادة واستقامة وحكم عالية لا يقدر على احصائها الا الله العزيز الرحمن . فاحرص ايها المؤمن على هذه الحكم ولا تضيعهـا ففيها الشفاء والنجاة من جميع البلاء . واياك ثم اياك ان تفهـم رمضان مثل ما يفهمه الجهلة الذين قلبوا حكمته وغيروا غايته وشوهوا بهجته ونبذوا وراء ظهورهم حكمته كذلك انصحك ايها الاخ اذا اردت ان يكون صومك مقبولا وتخرج من هذا الشهر كيوم ولدتك امك يجب عليك ان تصون لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة وجميع الصفات الذميمة كذلك يجب عليك ان تصرف وقتك فيما يعنيك ولا تصرفه في قيل وقال ، وافتراء على الاحساب والانساب ، وانبذ لعب الاوراق وعوضها بقراءة القرءان وسماع حديث نبيئك العدنان واكثر من الصدقات واطعام المساكين وبر بجيرانك وعشيرتك وقدم التوبة وعاهد ربك على ذلك واعزم على عدم العود الى المعـاصي . عباد الله ان من خير اغراض الصيام تطهير النفوس من جميع العيوب وكف الجوارح من الاثـام والذنوب . فمن اغتاب احدا او نم او هجا او ذم فقد فوت على نفسه ثواب الصيـام . ومن قال زورا او باطلا فقد عرض نفسه لغضب الله الملك العـلام وتلك خسارة لا تعوضهـا عليه الايـام (قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم من لـم يدع قـول الـزور والعمـل به فليس لله حاجة في ان يـدع طعـامه وشرابه) وكذلك علمنا نبيئنا الا نجازي في رمضان من اساء فاذا سبنـا احد او شتمنـا اعرضنا عنه وقلنا انا صائمون لاننا اذا جاريناه في قوله كنا خاطئين ولثواب الصوم مضيعين (قـال صلى الله عليه وسلم اذا كان صوم يوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم مرتين) يقول ذلك ليشعر نفسه انه في ضيافة الرحمن . نسألك اللهم ونتضرع اليك ان تجعلنا في هذا الشهر من عبـادك المقربين وفي صيامنا وقيـامنا من المقبولين ومن عـذاب القبر ووحشته آمنين والى الخيـرات والطاعات متسابقين بفضلك يا ارحم الراحمين

الا ان احسن ما تتشوق اليه قلوب المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات)

الجيلاني حمزة الخطيب بجامع الحاج مصطفى حمزة بالمهدية

شهر الصيام

الاديب الكبير الشيخ
العربي الكبادي

اهلا وسهلا بشهر الصوم والبركة — ومن به امم الاسلام مشتركه
يلقونه مثل ما يلقى اخو شغف — حبيبه بعد بين مؤلم عركه
به تفتح ابواب الجنان وفي — ايامه يتجلى الانس والبركه
من صامه فاز بالاحسان مغتبطا — والويل والتعس والبلوى لمن تركه
هلاله منجل يبدو لناظره — بحصده عمل المجان والفتكه
فيصبحون وقد بارت بضاعتهم — ولا يلاقون مثل الفطر من حركه
يا صائمين حذاري في صيامكم — فان ابليس فيه ناصب شركه
وراقبوا الله في اعمالكم وذروا — شينا يزج بكم في زمرة الهلكه
ولا تكونوا كقوم في صيامهم — يسؤم واحدهم للفتك معتركه
يروقهم فيه ان يرضوا بطونهم — ويركبوا للهوى من جهلهم رمكه (١)
لا صوم الا لمن طابت سريرته — وبات لله عبدا مخلصا نسكه
كم صائم حظه من صومه ضمأ — يضنى وجوع ممض يفسد الملكه
وانما يرتجي اجر الصيام فتى — لطاعة الله امسى راغبا دركه
يغض طرفا ولا يهذي وان حسنت — منه الخليقة يحسو آمنا حشكه
لا يالف الشر في صوم يدنسه — وكل شر اتى من حوله بتكه (٢)
نهارة صائم يرجو مثوبته — وليله قائم حتى يرى الديكه
يصدحن اذنا باصباح دنا وبدا — يشفي نفوسا من الظلماء مرتبكه
ذاك الذي ربحت نسكا تجارته — ونال في الدين سبقا دونه السلكه (٣)
واكرم الله مثواه وانزله — منازل الصدق اذ من عسجد سبكه

(١) الرمكة الفرس والبرذونه التي تتخذ للنسل معرب

(٢) البتك القطع

(٣) اراد الشاعر سليك السعدي وهو من العدائين واسم امه السلكه يضرب به المثل في شدة العدو

استقبال شهر رمضان المعظم

للاديب النابغ الشيخ بلحسن بن شعبان

رمضان اقبل حبذا اقباله … وبدا كما شاء الجمال هلاله
شهر يحل الخير يوم حلوله … ويعم آفاق البلاد نواله
شهر يفيض على الانام عوارفا … وأخو الخصاصة فيه تسعد حاله
والمسلمون جميعهم في اي نا … حية بدوا من دأبهم اجلاله
يلقاه كل موفق مستبشرا … وتطيب في أيامه اعماله
ويهب عند لقاه مسرورا الفؤا … د لطاعة الرحمن جل جلاله
وتراه فيه وقد تضاعف أنسه … وازداد فضلا واستبان كماله
فهو الربيع لقلب كل موحد … يخضل فيه وينتفي امحاله

***

أهلا بشهر الصوم اهلا بالزما … ن المستطاب النيرات خلاله
اهلا بمقدمه فكم راقت لنا … اسحاره واستلطفت آصاله
من صامه لله محتسبا ولا … زم ما يليق فذا النعيم مآله
فرض اراد به الاله صلاحنا … والضر موصول به اهماله
قل للاولى لم يفقهوا ما فيه من … حكم ولاح عليهمو استثقاله
يتبرمون به اذا وافى كمن … بعد السراح تقله اغلاله
قل فالمقالة ربما اجدت وقو … ل الحق لم يك لائقا اغفاله
الصوم خير مهذب لنفوسنا … وبه تعسفها يراد زواله
الصوم طب للجسوم وكل جسـ … ـم في لظى شهواته اعلاله
وبه تزاح عن القلوب غشاوة … فالقلب يصدأ والصيام صقاله
قل ما تشاء ففيه كل مزية … وتكاد تعجز من يعد خصاله
في الناس من جعل الصيام مطية … لشروره وازداد فيه ضلاله
رأي بان العذر فيه ممهد … لركوب اثم والمجال مجاله
يقضي سواد الليل في سهر اثيـ … ـم ثم يصبح لا يطاق جداله
قد هاله ترك الطعام وما تعو … د برهة فاعجب لما قد هاله
عار على ابناء دين محمد … ذنب تطول لدى الصيام حباله

***

بشرى لمن ادى الصيام وقد زكت … بصيامه بين الانام فعاله
ذاك الذي يحظى بخير مثوبة … من ربه وينال افضاله

التكاليف الشرعية

وسر مشروعية الصيام

يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

ان الله تعالى خلق الخلق وهو غني عن طاعتهم لا علاقة لكماله سبحانه بمعاصيهم ضرورة ان الجزاء راجع اليهم او عليهم ولما كانت عقول البشر متفاوتة في ادراك المنافع كما انهم في جانب الضار ليسوا على قدم واحدة فربما تزل اقدام قوم وهم لا يشعرون لذلك كان من لطف الله بعباده وهو اللطيف الخبير أن اوضح سبل السعادة للبشر في دينه القويم وعلى لسان رسوله الامين صلى الله عليه وسلم فجاء الشرع الاسلامي متكفلا باخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبدا اختيارا كما هو عبد اضطرارا ، ومن أخص صفات العبودية الاضطرار الدائم الذي لا ينفك عن العبد طرفة عين ومن شريف مناقبها الخضوع والخنوع والتقوى والقيام بواجب الشكر . حتى يكون الانسان عبدا شكورا . ولا يكون عبدا كفورا . وقيام العبد بواجب الشكر ينحصر في عبارة موجزة خفيفة الوقع على النفوس الزكية شديدة الوقر في ءاذان الطغاة المتمردين الا وهي الرجوع الى الله في جميع الاحوال والانقياد الى احكامه على كل حال وهو معنى التعبد لله تعالى الذي خلق من اجله الانسان المشار اليه بقوله تعالى وما خلقت الانس والجن الا ليعبدوني على ما فسره به ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات . وبهذا نعلم ان للسعادة شعبا ومسلك هذه الشعب الانقياد والتقوى ، وللشقاوة شعبا ومسلكها اتباع هوى النفس الامارة . وقد جاءت الشريعة الاسلامية متكفلة بتوضيح تلكم الشعب والمسالك في ضمن التكاليف وعلى وفق مصالح العباد بحسب تقرير الشارع الحكيم . وما دام العبد مسائرا لما حدده الشارع قائما بوظائفه العامة والخاصة على وفق تعاليم الدين كانت تصرفاته طاعات يرتجي من وراء امتثاله ثوابا عظيما . وأخص ما يتقرب به العبد الى الله بالاصالة العبادات المفروضة وذلكم الايمان وتوابعه التي هي قواعد الاسلام الخمس والاسس المتينة التي اقيم عليها هذا الدين الزكي فالله تعالى تعبدنا بالصلاة والصيام والزكاة والحج كما تعبدنا بتوحيده والاعتراف بربوبيته وجعل سبحانه في هذه العبادات منافع للناس لو كانوا يعلمون وخص منها الصيام بمزايا عظام ودرجات عليا فجعله بين سائر العبادات له تعالى . وعظم ثوابه بما فيه من القرب والاختصاص . وأكرم به من فريضة جاء في التنويه بشانها والتنبيه على سمو مقامها قوله عز وجل

« يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

فالله فرض الصيام على المسلمين وكتبه سبحانه علينا كما كتبه على اهل الملل السابقة فكان ركنا من الاديان سابقها ولاحقها لانه من اخص العبادات . واقوى ذرائع التهذيب . يتجلى فيه معنى الاخلاص . وتزكو به النفوس . فتتحلى بصفات المتقين التي هي المنزلة التي يسعى الى بلوغها اهل الحق والرضوان زيادة عما شرف به الزمان الذي هو ظرفه الذي يقع فيه بما جاوره من نزول القرءان . فايقاع هذا النوع من العبادة في شهر نزل فيه القرءان اقرار بما شمل الانسان من الهداية . وشكر للمنعم على ما اسدى لعبده من العناية والتوفيق . وفي قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اعلام منه تعالى بانه فرض علينا الصيام كما فرضه على الذين من قبلنا

وتاكيد لامر هذه الفريضة الشاملة للامم في عامة الاديان. وترغيب فيه بما يحرض على الامتثال وعدم الترك والتبديل .

والصيام عرف عبادة يتقرب بها في سائر الشرائع . ولا يزال اهل الاديان يصومون ويتقربون بهذه العبادة . الى يوم الناس هذا . على ان من ينكر فرضية الصيام في عامة الشرائع محجوج بتصريح القرءان بانه كتب على الذين من قبلنا القاضي اسم الموصول فيه بالعموم فلم يبق ريب في ان الصيام فرض في جميع الشرائع السابقة . اذ عموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمنة والبقاع كما هو مقرر في علم الاصول الدالة عليه جزئيات الشريعة . غاية ما هنالك ان الاختلاف بين الشرائع كان في المقدار والوقت . فكان في كل شريعة بحسب الحكمة القاضية بالتعيين والصفة وعظم الحادثة التي حدثت فوقت بها . على ان التغاير في الكمية والكيفية لا يعد اختلافا في اصل العبادة

ثم ان كيفية صيام من قبلنا لم تبينها الآية كما انها لم تبين الكمية لان بيان ذلك لم يتعلق به غرض المشرع بالنسبة الينا واما الصفة التي هي المقصد فجاءت ظاهرة المعنى في قوله تعالى : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم فعلمنا ان الصفة الوجوب . وعدت الآية الكريمة من قبيل المجمل قال ابو بكر الجصاص لما لم يكن في قوله كما كتب على الذين من قبلكم دلالة على المراد في العدد وكيفية الصيام وفي الوقت كان اللفظ مجملا . الى ان قال رحمه الله فلما قال تعلى في نسق التلاوة شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . بين ذلك عدد الايام ووقتها . اه كلامه . فآية : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . جاءت مؤكدة للوجوب الذي علم من قوله سبحانه وتعالى كتب عليكم الصيام . فان معناه فرض عليكم كما في قوله عز وجل : كتب عليكم القتال . وقوله : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

فالله سبحانه شرع لنا الصيام وفرضه علينا كما فرضه في الشرائع السابقة التي لحقها من اهلها التبديل والزيادة والنقصان حتى تحولت العبادة التي كانت لله الى غيره واشركوا في الله بغير علم فخسروا خسرانا مبينا . ونبهنا سبحانه في الآية الى مخالفتهم

ومشروعية صيام رمضان كانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة في شعبان . فصامه النبيء صلى الله عليه وسلم وصامه المسلمون معه في رمضان الموالي للشهر الذي جاء فيه التشريع وقد بين الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ان صيام رمضان شرع على معنى الطاعة والعبادة لله تعالى كما جاء في الحديث القدسي الذي اسلفنا الكلام على معناه . وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة عز وجل : الصيام لي وانا اجزي به

هذا وقد ارشدنا العزيز الحكيم لحكمة هذه الفريضة . وسر مشروعية هذه العبادة الفاضلة بقوله عز وجل لعلكم تتقون بما دلت عليه لعل من اعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوي الله تعالى فالصوم يهييء النفوس للتقوى التي هي نبراس الهدى . وذلك يتجلى من وجوه نقتصر منها على وجهين اولها ان الصيام موكول الى نفس الصائم لا رقيب عليه سوى الله تعالى . وسر بين العبد وربه لا يطلع على حقيقته غيره سبحانه ففيه ترك المؤمن شهوته امتثالا لامر ربه . وخضوعا لما جاء به نبيه . ملاحظا ذلك في سائر احواله وكلما تاقت نفسه لشهوة صدها عن التعدي عن حرمات الله ولو ما اطلاع الله تعالى عليه وعلمه بحاله لما ترك اطفاء شهوته فهذه صفة الملاحظة التي يورثها الصيام . ثانيها : ان الصائم بتكرار ملاحظة خشية الله تعالى للقيام بفريضة شرعية تتكون له ملكة المراقبة لله عز وجل ان يراه حيث نهاه . وذلك كمال الايمان وحصول التقوى التي هي صفة الابرار المقربين وبذلك يسلم من معاطب الزلل . فان المسلم متى جعل نصب عينه ان الله يراقبه في سائر احواله . ومهماهم بفعل امر تجلت له هذه الحقيقة . وشع نورها امام بصيرته سلم من الوقوع في المحظورات وتجنب المنكرات

وذلك الفوز العظيم اما اذا ستر بصيرته حجاب الغفلة وأهمل شأن نفسه واتبع هواه فلا هو يعنفها اذا همت بالمعصية ولا هو يلاحظ انه بين يدي رقيب عتيد يعلم ما تظهره الانفس وما تخفيه الصدور فذلك تتحكم فيه الشهوة الى أبعد حد ويقدم على المعاصي بكل استهتار وبدون خجل وما وقع في معصية الا وأفضى به حاله هذا الى ما هو اعظم منها واخطر وليس هناك ما يصده عن غيه ويرده الى رشده ما دام امر الملاحظة لا يخطر له على خاطر ومراقبة الله ليس من سبيل الى مثولها امام ناظره وعلى عكسه من اصبحت مراقبة الله له ملكة يلحظها في احواله ويزكي بها نفسه في اقواله وافعاله امسك راية الفلاح باليمين وتأهل لمرتبة الناجين ثم مقام المقربين وحسن أولئك رفيقا

واذا علمت ان روح الصوم هذه الملاحظة والمراقبة تجلى لك سر اضافة الصيام الى الله عز وجل في الحديث القدسي وظهر لك كيف يكون الصيام النفوس حتى تتهيأ لتقوى الله الذي دل عليه قوله تعالى لعلكم تتقون وعلمت ايضا كيف يكون الصيام جنة يستر القائم به ويقيه لفرط خشية الله عز وجل من الوقوع في المنكرات كما ورد في الحديث الصحيح الصيام جنة .

واذ قد تبين لك مبلغ تاثير الصوم في دقة الملاحظة ومراقبة العزيز العليم الذي لا تخفاه خائنة الاعين وما تخفي الصدور وتجلى لك ان ما يصدر من الناس في شهر رمضان من الذنوب سببه ضعف هذه المراقبة ومتى انعدمت الاسباب انعدمت مسبباتها وتصبح العبادة شبحا بلا روح وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش

وهو جوابنا عن الايراد الذي اورده بعض الافاضل كيف يكون الصوم التقوى مع ان الناس يحدثون من الفجور مع الصيام ما لا يرتكبونه في الافطار وهو على وزان جوابنا على ايراد كثرة فواحش المصلين والله يقول ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ومن هنا قسم اهل المعرفة الصوم الى ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص ولهم بيانات في تفسير الدرجات وعندي في تقسيم الصوم الى درجات ثلاث الاولى صوم العموم وهو الامساك عن الفطرات من غير خشية ولا مراقبة . وهذه الدرجة لا تنشر على الصائم جلباب التقوى فيكون انتفاعه بصومه ضئيلا . ولم يتحقق مع هذا الصوم سره ومعناه فجاء عبادة بلا روح فلا يحصل منه المقصد الاسمى ولا تزكو به النفس ولا تنال به الدرجة السامية

الدرجة الثانية هي التي اشار لها حديث كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وهو صوم الفاسق الفاجر .

الدرجة الثالثة صوم من اتقى ونهى النفس عن الهوى فحصل له من الصوم سره ومعناه ولازمته الخشية والمراقبة . فحصل على رضى الرحمن ونال عند ربه جزاء وشكورا . وهذه الدرجة مع ما فيها من الامتثال هي درجة الخوف من غضب الله والوقوف عند الامر ومراقبة الله في احوال العبد . ويسمو العبد في تلك المراتب حتى يبلغ الى الكمال وهي الدرجة التي اشار اليها حديث من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه احمد والشيخان واصحاب السنن .

فليضع الانسان نفسه في اي الدرجات احب . وموفور الكرامة لا يرضى لنفسه بالدون ويعتبر في صومه ما ندبه الشارع واختاره اليه من الكمالات ويحقق في نفسه معنى قوله تعالى لعلكم تتقون فيلازم المراقبة والخشية والتحلي بالتقوى وما يتبعها من كمالات ومن كانت هذه صفته كان راضيا مرضيا .

محمد الشاذلي ابن القاضي